بيعة الخليفة العباسي المتوكل على الله لأبنائه الثلاثة بولاية العهد في عام ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م دراسة في أسبابها وغاياتها ونتائجها

مضر عدنان طلفاح*

ملخص

يهدف هذا البحث الى تجلية الأسباب التي دفعت الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م) الى مبايعة ثلاثة من أبنائه بولاية العهد في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٥هـ/تموز ٨٥٠م، وتبيان غاياته الحقيقية من هذه البيعة وأهمها، إضافة الى ضمان الخلافة لأبنائه، وحصرها في نسله واقصاء أمراء بقية فروع البيت العباسي، اتخاذها وسيلة لضرب نفوذ قادة الجيش الأتراك؛ الإداري والأمني والمالي والعسكري، وصولاً الى التخلص نهائياً منهم. وتتبع دور هذه البيعة في تأجيج حدة الصراع الأسري العباسي على الخلافة بنقله إياه الى بيت المتوكل نفسه، وهي الثغرة التي استغلها قادة الجيش الأتراك للتحالف مع ولي العهد الأول المنتصر بالله لقتل الخليفة المتوكل، سعيا لوقف سياساته وإجراءاته الهادفة الى التخلص منهما، وهو ما كان السبب المباشر في فرض قادة الأتراك لهيمنتهم المباشرة على مؤسسة الخلافة، وإدارة الدولة ومقدراتها.

الكلمات الدالة: الخليفة المتوكل، ولاية العهد، المنتصر بالله، المعتز بالله، القادة الأتراك، الشيعة العباسية.

المقدمة

أدت سياسة الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) في الإكثار من الجنود الأتراك في الجيش، وتوليتهم مناصبه القيادية، والاعتماد عليهم إدارياً وأمنياً، ومنحهم الامتيازات المالية، وما شهده عهد ابنه الخليفة الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م) من إمعان في هذه السياسة الى استفحال نفوذ قادة الأتراك في الدولة الى الحد الذي بات يشكل تهديداً حقيقياً على سلطة الخليفة، وهو الخطر الذي استشعره الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م) منذ اعتلائه الخلافة، فبادر الى مواجهته للحد من تناميه أولاً، والسعي الى التخلص من الأتراك نهائياً، غير انه عمد الى الاستتار في تنفيذ خطوات هدفه هذا ببيعة أبنائه الثلاثة بولاية العهد في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٥هـ/تموز ٨٥٠ م.

وتتمثل أهمية دراسة بيعة المتوكل لأبنائه الثلاثة بولاية العهد بأنها دراسة في الوقت ذاته لمحاور التنافس الأسري العباسي على منصب الخلافة، والصراع بين مؤسسة الخلافة وقادة الجيش الأتراك،

---

* أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك. تاريخ استلام البحث ٢٠١٤/١٠/٣٠م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠١٥/٦/٤م.

© ٢٠١٥ عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

وسياسات المتوكل وإجراءاته الهادفة الى ضرب نفوذ الأتراك في الدولة وصولاً الى التخلص منهم نهائياً، ورصد ردود فعلهم على خطوات المتوكل هذه، مما يجلى لنا ظروف تبلور التحالف بين ولي العهد الأول المنتصر بالله وقادة الأتراك لقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، مما أدى الى فرض قادة الأتراك لهيمنتهم المباشرة على الخلافة العباسية ودولتها.

تمهيد

بويع المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) بالخلافة إثر موت الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) المفاجئ، وفي ظروف مريبة توحي بتدبير المعتصم لذلك[١]، وهو ما أثار استنكار قادة الجيش ومعارضتهم، وأعلنوا دعمهم لخلافة العباس بن المأمون[٢]، إلا أن الموقف المتخاذل للعباس، ودعمه العلني غير المفهوم لخلافة عمه المعتصم، أحبط هذا التحرك[٣]. وعلى الرغم من فشل حركة الجيش في تنصيب العباس خليفة، إلا أن المعتصم بقي وجلاً ومتوجساً من ولاء الجيش وقادته للعباس بن المأمون، واحتمالية إقدامه على التحرك مستقبلاً لخلعه وتنصيب العباس خليفة[٤]، وهو ما دفع المعتصم إلى تشكيل وحدات عسكرية جديدة قوامها الأتراك، فاستكثر

---

١. غرس النعمة محمد بن هلال الصابئ (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م)، **الهفوات النادرة**، تحقيق: صالح الأشتر، ط٢، دار الأوزاعي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٨٣-١٨٥**(عن الصولي)**؛ أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص٢٥٤ **(عن الصولي). ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض رجال الدولة كانوا يستشعرون طموح المعتصم للخلافة** (انظر مثلاً: عبد الحي بن الضحاك الكرديزي (ت ٤٤٣هـ/١٠٥١م)، **زين الأخبار**، ترجمة: عفاف السيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٩٩). **حتى أن القاضي يحيى بن أكثم حذّر الخليفة المأمون في عام (٢١٤هـ/٨٢٩م) من طموح المعتصم و "أنه يحاول الخلع"**. (أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ/٩٠٥م)، **تاريخ اليعقوبي**، ٢ ج، تحقيق: عبدالأمير مهنا، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٢، ص٤٢٣). **ويذكر ابن أعثم أن قادة الجيش اتهموا المعتصم بقتل المأمون**. محمد بن احمد ابن أعثم (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)، **الفتوح**، ٤مج، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مج ٤، ص٤٧٠.

٢. كان للعباس طموح لتولي الخلافة، (عبدالعزيز الدوري، **العصر العباسي الأول**، ط٣، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٧٦). ويرى نفسه الأحق بخلافة والده، حتى أنه تنازع مع عمه المعتصم على الخلافة، "ثم إنقاد العباس إلى بيعته". (علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٤ج، تحقيق: أمير مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٤، ص٥٤). وهو ما دفع ابن حزم لاعتبار المعتصم ممن "ولي الخلافة مغالبة". علي بن أحمد ابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **نقط العروس في تواريخ الخلفاء**، تحقيق: إحسان عباس، ضمن: رسائل ابن حزم، ج٢، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٧م، ص٥٦.

٣. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٣٠؛ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الأمم والملوك**، ١٠ج، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، د.ت، ج٨، ص٦٦٧؛ أحمد بن محمد مسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ٥ج، تحقيق: سيد كسروي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٤، ص٣؛ محمد بن علي ابن العمراني (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م)، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: قاسم السامرائي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٠٤.

٤. عبدالله بن مسلم ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٣٩٢؛ ابن أعثم، **الفتوح**، مج٤، ص ٤٧٠؛ مجهول (ق ٤هـ/١٠م)، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، ج٣، تحقيق: دي

منهم، وأغدق عليهم الأموال(٥)، لضمان ولائهم لشخصه ولأبنائه من بعده . ورغم ذلك بقي المعتصم مرتاباً من ولاء الجيش وخاصة في العاصمة بغداد، إذ "خاف من بها من العسكر ولم يثق بهم"،(٦) فعمد إلى بناء مدينة سُرَّ من رأى "سامراء" في عام ٢٢١هـ/٨٣٦م لتكون مقراً له، وقاعدة لجنده الأتراك الموالين له والداعمين لخلافته(٧) مفسراً أهميتها في سياق المحافظة على خلافته بقوله: "إن رابني من عساكر بغداد حادث كنت بنجوة، وكنت قادراً على أن آتيهم من البر وفي الماء"(٨).

كان المعتصم محقاً في مخاوفه من ولاء الجيش وقادته، عدا الأتراك بطبيعة الحال، إذ لم يلبث قادة الجيش أن تواطؤوا مع العباس في عام ٢٢٣هـ/٨٣٧م على خلع المعتصم ومبايعته بالخلافة، إلا أن أخبارهم تسربت للمعتصم، فعاجل الحركة قبل التنفيذ وقام بتصفية العباس وأركان حركته من قادة الجيش(٩). غير أن حركة العباس الفاشلة كشفت كثرة أعداد القادة المناهضين للمعتصم في الجيش(١٠)، واستيائهم البالغ من سياسته في الإكثار من الأتراك، والاعتماد عليهم، وتقديمهم على القادة الآخرين(١١)، وربطهم خلافة المعتصم واستمراريتها بالقادة الأتراك.(١٢)

خويه، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص٣٨٠.

٥. علي بن أحمد ابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم**، تحقيق: إحسان عباس، ضمن: رسائل ابن حزم، ج٢، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٥٠. **وانظر أيضاً:** أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبدالله وعمر الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٦٠٤؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص٦١؛ عبدالعزيز الدوري، **العصر العباسي الأول**، ص١٧٧، ١٩٩؛ فاروق عمر، **الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية**، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٧م، ص ٦١.

٦. محمد بن علي ابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٣١٠. **وانظر أيضاً:** الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧؛ عبدالعزيز الدوري، **العصر العباسي الأول**، ص٢٠٠-٢٠١.

٧. عن مدينة سامراء، وبنائها، انظر: أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م)، **البلدان**، تحقيق: محمد ضناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٥٢ وما بعدها، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، ٥ج، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٣، ص ١٧٣ وما بعدها.

٨. ابن الطقطقا، **الفخري**، ص٣١٠. **وانظر أيضاً:** الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧؛ عبدالعزيز الدوري، **العصر العباسي الأول**، ص٢٠٠-٢٠١.

٩. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٧١؛ مجهول، **العيون والحدائق**، ج٣، ص٣٩٦؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص٥٠؛ عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تواريخ الملوك والأمم**، ١٣ج، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٦، ص٣٢٤؛ علي بن محمد ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، ١٠ج، ط٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٥، ص٢٥١. يزيد بن محمد الأزدي (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م)، **تاريخ الموصل**، ج٢، تحقيق: علي حبيبة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص٤٢٧.

١٠. لما علم المعتصم أسماء القادة المؤيدين للعباس في حركته "**لم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم، وكثرة من سُمّي منهم**". الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٧٦؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص٥٤. وانظر أيضاً: مجهول، **العيون والحدائق**، ج٣، ص٣٩٧؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٥٣.

١١. **علق الدوري على نتائج سياسة المعتصم هذه بالقول:** أنها "كانت ضربة عنيفة للقواد والجند العرب، [وخروج صارخ] على سياسة المنصور التقليدية التي كانت تستهدف حفظ التوازن في الجيش بين الفرق الأعجمية والفرق العربية". **العصر**

أدت حركة العباس الفاشلة إلى تمتين العلاقة بين المعتصم والأتراك، إذ أمعن المعتصم في أعقابها في الثقة بالأتراك والاعتماد عليهم(١٣)، وازداد نفوره من غيرهم في الجيش. في حين استشعر الأتراك تلازم وجودهم ونفوذهم مع بقاء المعتصم، وأولاده من بعده، في منصب الخلافة، مما جعلهم السند الحقيقي لهم في احتكار منصب الخلافة واقصاء أمراء بقية فروع البيت العباسي(١٤)، خاصة أنهم أصبحوا القوة المهيمنة في الجيش بعد تصفية المعتصم للقادة الكبار المشاركين في حركة العباس(١٥). ولم يلبث نفوذهم أن استفحل في عهد الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م)، الذي أمعن في الإغداق على القادة الأتراك بالمناصب والأموال، فاشتدت قبضتهم على إدارة الدولة ومؤسساتها، ولعل مرد ذلك اعتقاد الواثق تلازم سلطته مع القادة الأتراك، شأنه في ذلك شأن أبيه المعتصم من قبله(١٦).

خلافة المتوكل

تولى المتوكل جعفر بن المعتصم الخلافة نهاية عام ٢٣٢هـ/٨٤٧م، رغم أنه لم يكن مرشحاً لتوليها على الإطلاق في حياة أخيه الواثق، إلا أن وفاة الأخير المبكرة(١٧)، دفعت مسار الأحداث لصالح المتوكل، إذ توفي الواثق دون أن يسمي ولياً للعهد(١٨)، ورغم أن اتجاه قادة الجيش ورجال الإدارة كان مبايعة الأمير محمد أكبر أبناء الخليفة الواثق سناً، إلا أن صغر سنه يوم ذاك(١٩) كان

العباسي الأول، ص١٧٧-١٧٨.

١٢. انظر في ذلك: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٧١؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص٥١؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٣٢٤؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٥١؛ محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **عيون التواريخ** (من سنة ٢١٩-٢٥٠هـ)، تحقيق: عفيف حاطوم، دار الثقافة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٧٨.

١٣. عبدالعزيز الدوري، **العصر العباسي الأول**، ص١٩٧.

١٤. وهو ما اتضح بعد موت حفيده الخليفة المنتصر (٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م)، دون أن يسمي ولياً للعهد، إذ اجتمع قادة الأتراك لاختيار خليفة جديد، **متعاهدين ألا " نخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم**". الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٥٦؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٤٧؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣١١.

١٥. قال المؤلف المجهول واصفاً تنكيل المعتصم بمن شارك في حركة العباس، وتصفيته إياهم: "**لم يزل المعتصم يقتل واحداً واحداً من القواد، كل واحد منهم بفن من القتل: الواحد بضرب العنق، والآخر بالخنق، والآخر بالضرب بالخشب حتى يموت، فأفنى أكثر القواد والأمراء، الذين شهدوا فتح عمرية، وكانوا نحو سبعين من القواد**". **العيون والحدائق**، ج٣، ص٣٩٨. **وانظر أيضاً**: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٧٦؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص٥٥؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٣٢٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٥٢.

١٦. عن سياسة الخليفة الواثق هذه، انظر: عبدالعزيز الدوري، **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص١٤، ٣٠-٣١. **وانظر أيضاً**: فاروق عمر، **الفوضى العسكرية**، ص ٦٢.

١٧. توفي الواثق وسنه ٣٢ سنة. المطهر بن طاهر المقدسي (حياً ٣٦٤هـ/٩٧٥م)، **البدء والتاريخ**، ٦ج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ج٦، ص١٢٠؛ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، **تاريخ بغداد**، ١٤ج، تحقيق: مصطفى عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١٤، ص٢٠؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٤١٠. **وانظر أيضاً**: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٥١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٧٧.

١٨. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤٦.

١٩. كان عمر الأمير محمد بن الواثق يوم توفي والده في شهر ذي الحجة ٢٣٢هـ/أب ٨٤٧م: ١٣ سنة و٩ أشهر، إذ كان قد ولد في شهر ربيع الأول عام ٢١٩هـ/آذار ٨٣٤م. انظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٤، ص١١٧؛ ابن الجوزي،

حائلاً أساسياً دون توليه الخلافة. ورغم أن العديد من رجالات الدولة، وعلى الأخص الوزير محمد بن عبدالملك الزيات (قتل ٢٣٣هـ/٨٤٧م) وقائد الجيش القائد التركي إيتاخ (قتل ٢٣٥هـ/٨٤٩م)، وأنصارهما وأتباعهما، كانوا متحمسين لمبايعته بالخلافة، ومستعدين لغض الطرف عن صغر سنه، إلا أن الوعي المسيطر على بعضهم الآخر من رجالات الدولة آنذاك رفض تعينه[٢٠]، مما حتم إجراء تعديل جوهري على مسار وراثة الخلافة، بنقلها من أبناء الواثق إلى إخوته، ليغدو الأمير جعفر بن المعتصم أكبر أولاد المعتصم سناً بعد الواثق[٢١] المرشح الرئيس، إن لم يكن الأوحد، فكان أن بويع بالخلافة بالفعل أواخر عام ٢٣٢هـ/٨٤٧م، وسنه عند توليه الخلافة ٢٦ سنة[٢٢].

اعتلى المتوكل الخلافة في (٢٤ ذي الحجة ٢٣٢هـ/١١ آب ٨٤٧م) وهو يعي حقيقة أن بيعته بالخلافة كانت ضرورة أملتها الظروف، وأن توجه، إن لم نقل ولاء، المتنفذين في الدولة من إداريين وعسكريين كان لمحمد بن الواثق[٢٣]، ناهيك عن معرفته استشعار العديد منهم الخوف منه نظراً لإنسياقهم مع أخيه الواثق في الحط من شأنه وأزدرائه وإهانته، وعلى الأخص الوزير محمد بن عبدالملك الزيات[٢٤]. ولعل الأخطر من ذلك كله أن الخليفة المتوكل لم يكن مطمئناً إلى ولاء الجيش لشخصه وخلافته[٢٥]، مما جعله يعيش حالة من الارتياب والخوف من إقدام قادته، متحالفين مع الإداريين، على خلعه ومبايعة محمد بن الواثق[٢٦]، حال بلوغه، مما يجعل من خلافة المتوكل مرحلة

المنتظم، ج٧، ص٧٥. **وتجدر الإشارة هنا أن جميع الأعمار التي ترد في هذا البحث تم تحديدها حسب التأريخ الهجري المعتمد في المجال العربي الإسلامي آنذاك.**

٢٠. تزعم قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد الإيادي (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) التيار المناهض لمبايعة محمد بن الواثق نظراً لصغر سنه. (الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٧، ص١٧٥؛ غرس النعمة، **الهفوات النادرة**، ص٣٦٢-٣٦٥؛ ابن العمراني، **الإنباء**، ص١١٥؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٤٠٣). فيما ذكر الطبري أن القائد التركي وصيف كان هو المتزعم لهذا التيار. **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٥٤. **وعنه:** مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٠٦، ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٧٨.

٢١. أكد قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد على أحقية المتوكل بالخلافة بالقول: "ليس في الجماعة [آل المعتصم] أكبر سناً منه". (ابن العمراني، **الإنباء**، ص١١٥). وهو يبين أن ما ذهب إليه ابن حزم من "أن المتوكل ولي [الخلافة] وأخوه أحمد، أسن منه وأعقل، حيٌّ يومئذ". (**نقط العروس**، ص٦١) غير صحيح.

٢٢. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٥٤؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٠٦؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٧، ص١٧٥-١٧٦؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٤٠٣؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٧٨.

٢٣. غرس النعمة، **الهفوات النادرة**، ص٣٦٣.

٢٤. أنظر في ذلك ابن العمراني، **الإنباء**، ص١١٥. وانظر بعض الإساءات التي طالت المتوكل في عهد أخيه الواثق، عند: الطبري، تاريخ الأمم، ج٩، ص١٥٥-١٥٦؛ علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م)، **الأغاني**، ٢٥ج، تحقيق: يوسف البقاعي وتغريد الشيخ، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٢٣، ص٦٠؛ المحسن بن علي التنوخي، (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، **الفرج بعد الشدة**، ٥ج، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٣، ص٣٢٣؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٠٨-١٠٩.

٢٥. عبدالعزيز الدوري، **دراسات (المتوكل)**، ص٤٠.

٢٦. أكد الشاعر علي بن الجهم (قتل ٢٤٩هـ/٨٦٣م) استمرار ولاء العديد من رجالات الدولة ومتنفذيها لأبناء الواثق، في قصيدة قالها يستعطف المتوكل لإخراجه من السجن، مؤكداً ولائه التام له، على عكس من أشار عليه بحبسه، فقال: [الوافر]

انتقالية لا غير[٢٧]. ولهذا وضع المتوكل مخططاً يهدف الى التخلص من أكبر من اعتقد بهم الخطر[٢٨]، في حركة هدف منها التمكين لنفسه، وإشعار الآخرين بقوته، وضمان الخلافة لعقبه. وكانت أولى خطواته في تحقيق مبتغاه إقدامه على قتل الوزير محمد بن عبدالملك الزيات في ٧ صفر ٢٣٣هـ/٢٢ أيلول ٨٤٧م، بعد أربعين يوماً فقط من توليه الخلافة، عامداً في ذات الوقت إلى ملاحقة أنصاره ومصادرتهم وعزلهم عن مناصبهم، وإحلال المؤيدين له فيها[٢٩]. ورغم أن المتوكل برر خطوته هذه بإساءات الزيات له في عهد أخيه الواثق[٣٠]، إلا أن الكثيرين كانوا على يقين أن "سبب هلاك ابن الزيات" الحقيقي كان موقفه المناهض لبيعة المتوكل بالخلافة، وولائه لمحمد بن الواثق[٣١].

وكان الهدف الثاني للمتوكل القائد إيتاخ، أكبر القادة الأتراك، وأعلاهم مرتبة، وأكثر المتنفذين في الدولة، إذ كان قائد الجيش بجميع فرقه وتشكيلاته "المغاربة والأتراك والموالي"، ومسؤول الأمن في العاصمة سامراء، وصاحب البريد "مدير المخابرات"، وقائد أمن دار الخلافة، ومتولي الحجابة فيها[٣٢]. ولم يكن نفوذه يرتكز على المناصب العسكرية والأمنية التي تولاها فحسب، بل كان يتمتع بولاء الجيش المطلق، حتى قيل أنه "لو أراد بأصحابه قتل جميع من خالفه: أمكنه ذلك"[٣٣]. وهو ما نظر المتوكل إليه كتهديد جدي لسلطته[٣٤] من جهة، واستشعر منه الخطر على خلافته واستمراريتها[٣٥] من جهة أخرى، خاصة أن إيتاخ كان أحد الأركان المعارضة لبيعة المتوكل، وأبرز

أنا المتوكلي هوى ورأياً
وما بالواثقية من خفاء

الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٠، ص١٧٧.

٢٧. مما يشير إلى انتفاء ولاء قادة الجيش للمتوكل أن أحدهم أقسم بـ "تربة المتوكل" بعد مقتله عام ٢٤٧هـ/٨٤٧م، فعلق راوي الخبر قائلاً: "فقلت في نفسي: لو أراد خيراً لحلف بتربة المعتصم أو الواثق". الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٤٣٩.
٢٨. غرس النعمة، **الهفوات النادرة**، ص٣٦٥.
٢٩. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٥٨ وما بعدها؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٠٩-١١٠؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٤١٤؛ ٤١٨-٤١٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٧٩ وما بعدها، وانظر أيضاً: اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤٧-٤٤٨؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص٩٧.
٣٠. أحمد بن يوسف ابن الداية (ت ٣٤٠هـ/٩٥٠م)، **المكافأة وحسن العقبى**، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٧٢-٧٣؛ ابن العمراني، **الإنباء**، ص١١٦.
٣١. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٥٩-١٦٠؛ إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: حامد الطاهر، ط١، دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١٠، ص٣٤٠.
٣٢. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٧؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١١٥؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٤٢٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٨٢.
٣٣. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١١٧.
٣٤. عبدالعزيز الدوري، **دراسات (المتوكل)**، ص٤٠.
٣٥. أكد اليعقوبي ورود أخبار في سنة ٢٣٤هـ/٨٤٩م الى المتوكل أن إيتاخ "كان على إيقاع الحيلة به". **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤٩.

المتحمسين لمبايعة محمد بن الواثق سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م[٣٦]، فدبر لقتله في مدينة بغداد مطلع عام ٢٣٥هـ/٨٤٩م، بعيداً عن أنصاره ومؤيديه في العاصمة سامراء[٣٧].

بيعة المتوكل لأبنائه الثلاثة بولاية العهد

بدا المتوكل ظاهرياً في مطلع سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م، بتخلصه من الوزير محمد بن عبدالملك الزيات وقائد الجيش إيتاخ، وقد أحكم القبضة على السلطة، وقضى على أكبر مناوئيه، إلا انه كان في قرارة نفسه لا يزال يستشعر خطر الجيش، ويملؤه الشك في اضطراب ولائه، ويستشعر تهديده المستمر لحياته وخلافته[٣٨]، خاصة في ظل توفر البديل "المعتصمي" من إخوته[٣٩] وأبرزهم وأقواهم حضوراً في الحياة العامة أخوه الأمير أحمد بن المعتصم[٤٠]، إذ "كان جليلاً في نفسه، مقدماً في قومه"،

٣٦. انظر في ذلك: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٥٤؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٠٦؛ غرس النعمة، **الهفوات النادرة**، ص٣٦٣-٣٦٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٧٨.

٣٧. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٨؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١١٦؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٤٣٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٨٣.

٣٨. لا يمكننا التغاضي مطلقاً عن مدلولات الإشاعة التي انتشرت آنذاك بنبوءه ملحمية بقتل الخليفة العباسي العاشر، والتي تحمل معاني التهديد الضمني للخليفة المتوكل، العاشر في خلفاء الأسرة العباسية (انظر في ذلك: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٩؛ ابن العمراني، **الإنباء**، ص١١٩). إذ كان الجيش الجهة الوحيدة القادرة على تنفيذ ذلك. وينبغي الإشارة هنا إلى أن الجيش المجرد من أي عقائدية إلا الولاء للخليفة الضامن لتحقيق المنافع لأفراده اصبح هو الفاعل في الدولة منذ عهد المعتصم، وتكرس ذلك بقوة أكبر في عهد الواثق، لذا غدا أتراك الجيش الذين "لا ولاء لهم ولا ثقافة، ولا يهمهم إلا الكسب"، (عبدالعزيز الدوري، **العصر العباسي الأول**، ص٢٠٢) يتحركون بدوافع المصلحة والنفعية البحتة، من غيرالاكتراث بتبعات ذلك على الدولة واستقرارها، متحفزين في سبيل الحفاظ على مكتسباتهم للصدام مع الخلفاء الذين يسعون للمساس بها، وهو ما صرّح به قادة الأتراك للخليفة المهتدي (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٩-٨٧٠م) عندما عزلوه، بعد أن ضاقوا ذرعاً بسياسته التي سار عليها، والتي رأوا فيها تقليصاً لامتيازاتهم ومنافعهم، إذ أنبوه قائلين: "إنما رجالكم ما بين: تركي وخزري وفرغاني ومغربي وغير ذلك من أنواع الأعاجم، لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم، وإنما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا، فكيف تحملهم على ما ذكرت من الواضحة" ؟! (المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص١٩٩).
ولعل هذا ما يفسر لنا مشاكل المتوكل مع الجيش دوناً عمن سبقه من الخلفاء العباسيين، وما قد يفسر لنا لجوءه إلى التقارب مع الفقهاء من أهل السنة، (ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٤٢٣؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٠، ص٣٤٥). وأبرزهم خلال هذه الحقبة الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)، الذي كان قد أصدر "عقيدة" تنص على: "السمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين البر والفاجر ممن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه، ورضوا به، ....، ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، ....، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ....، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع، على غير السنة والطريق". الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، **أصول السنة**، تحقيق: فواز زمرلي، ضمن: عقائد أئمة السلف، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٢٩-٣٠.

٣٩. انظر أبناء المعتصم عند: اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤٠؛ علي بن احمد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **جمهرة انساب العرب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٦، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢٤-٢٥؛ علي بن منصور ابن ظافر (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م)، **أخبار الدول المنقطعة**، ٢ج، تحقيق: عصام هزايمة وآخرين، ط١، مؤسسة حمادة للدراسات، إربد – الأردن، ١٩٩٩م، ص٣٥٣.

٤٠. مدحه الشاعر أبو تمام الطائي (ت ٢٣١هـ/٨٤٦م) في عدة قصائد، قال في إحداها واصفاً إياه: [المنسرح]

ويحظى بولاء بعض المتنفذين في الدولة، حتى أنهم رشحوه للخلافة بعد مقتل ابن أخيه الخليفة المنتصر بن المتوكل في عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م(٤١)، ولهذا فقد كان أحد أبرز أمراء البيت العباسي من أبناء الخلفاء السابقين الذين حرص المتوكل على إشهار تلقيه لبيعتهم عند اعتلائه الخلافة(٤٢). كما كان الأمير محمد بن الواثق يقترب من سن البلوغ، في الوقت ذاته الذي كان فيه أبناء المتوكل صغار السن دون البلوغ، مما يجعل من أحمد بن المعتصم أو محمد بن الواثق مرشحاً قوياً إذا ألمَّ بالمتوكل حادث، في ظل ظروف تشابه ظروف موت الواثق ومبايعة المتوكل بالخلافة. فأقدم المتوكل في نهاية شهر ذي الحجة من ذات العام ٢٣٥هـ/تموز ٨٥٠م على بيعة ثلاثة من أبنائه بولاية العهد، وهم(٤٣): ابنه محمد بولاية العهد الأولى، ولَقَّبَهُ بالمنتصر بالله وعمره: ١٣ عاماً و ٩ شهور(٤٤)، وابنه الزبير/محمد بولاية العهد الثانية، ولَقَّبَهُ بالمعتز بالله، وعمره: سنتان و ٩ شهور(٤٥).

سهمٌ من المُلْكِ لا يضيّعهُ
باريه حتى يهتز في غَرَضهْ

وعلق الصولي على هذا البيت قائلاً: "**وهذه أحسن كناية في التعريض بالخلافة**". محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، **أخبار أبي تمام**، تحقيق: خليل عساكر وآخرين، ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٢٣٣.

٤١. ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٢٥.

٤٢. قال اليعقوبي: بايع المتوكل " أولاد سبعة خلفاء مجتمعين: منصور بن المهدي، والعباس بن الهادي، و[أبو] أحمد بن الرشيد، وعبدالله بن الأمين، وموسى بن المأمون وإخوته، وأبو[!] أحمد بن المعتصم وإخوته، ومحمد بن الواثق". **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤٦ – ٤٤٧. وانظر أيضاً: ابن العمراني، **الإنباء**، ص١١٥–١١٦؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٤٠٣.

٤٣. انظر بيعة المتوكل لأطفال الثلاثة بولاية العهد عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٥–١٧٦. وانظر أيضاً: اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٠؛ ابن العمراني، **الإنباء**، ص١١٧؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٤٣٧؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٨٤؛ عمر بن أحمد ابن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ١٢ج، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٨، ص٣٧٦٢.

٤٤. ولد محمد المنتصر في ٦ ربيع الثاني سنة ٢٢٢هـ/١٨ اذار ٨٣٧م. أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، **العقد الفريد**، ٩ج، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ج٥، ص٣٧٩. وانظر أيضاً: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٢، ص١١٨؛ أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢٠/١٤١٨م)، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، ٣ج، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٣٧.

٤٥. حدد الحافظ الدارقطني (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) تاريخ مولد المعتز بيوم الخميس ١١ ربيع الأول سنة ٢٣٣هـ/٢٥ تشرين أول ٨٤٧م. (انظر روايته عند: علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، **المحمدون من الشعراء وأشعارهم**، تحقيق: حسن معمري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باريس، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ١٧٩). وهو ما وافقه عليه محمد بن عمر الحافظ (انظر روايته عند: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٢، ص١٢٠؛ علي بن الحسن ابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، **تاريخ مدينة دمشق**، ٨٠ج، تحقيق: عمر العمروي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥–١٤١٩هـ/١٩٩٥–١٩٩٨م، ج١٨، ص٣٠٨؛ ابن العمراني، **الإنباء**، ١٣٢؛ ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٨، ص٣٧٥٦). وقارن مع رواية الخطبي التي تنص على أن المعتز ولد في شهر ربيع الثاني سنة ٢٣٢هـ/كانون أول ٨٤٦م. (الخطبي، إسماعيل بن علي البغدادي (ت٣٥٠هـ/٩٦١م)، **مختصر تاريخ الخلفاء**، تحقيق: سعاد السوداني، المجمع العلمي، بغداد، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢١٠) مما يجعل عمره في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٥هـ/تموز ٨٥٠م : ٣ سنوات و٨ شهور. وأنظر رواية نفطويه الذي حدد تاريخ مولد المعتز في شهر رمضان سنة ٢٣٢هـ/أيار ٨٤٧م. (انظر رواية نفطويه عند: ابن حزم، **نقط العروس**، ص٧٩) مما يجعل عمره في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٥هـ/تموز ٨٥٠م: ٣ سنوات و٣ شهور.

وابنه إبراهيم بولاية العهد الثالثة، ولَقَّبَهُ بالمؤيد بالله، وعمره قرابة ٧ سنوات(٤٦). في خطوة تشعرنا بحجم الأزمة التي كان المتوكل يعيشها، إذ لم تكن خطوته هذه إجراءً يحدد مسار الخلافة فحسب، بل كانت خطوة تخفي ورائها حقيقة دوافع المتوكل ومراميه منها.

فأولاً تعد بيعة المتوكل لأبنائه الثلاثة بولاية العهد تمكين لنفسه في الخلافة، إذ قطع المتوكل ببيعتهم الطريق على مناوئيه تحقيق مشروع نقل الخلافة، إذ سيغدو قتله او خلعه من غير نتيجة – نظرياً– لتمتع أولاده ولاة العهد ببيعة الأمة المتقدمة(٤٧)، مما يجعل من العسير مبايعة خليفة آخر، نظرياً. وثانياً تؤشر مبايعة المتوكل لأبنائه الثلاثة بولاية العهد على صراع خفي محتدم داخل الأسرة العباسيّة على الخلافة، وهو ما ينذر بالخطر على المتوكل وعقبه، مما دفعه لحسم هذا الصراع بمبايعة أبنائه بولاية العهد، قطعاً لآمال الطامحين من أفراد الأسرة العباسيّة عامة، والبيت المعتصمي خاصة(٤٨)، وضمانة احتكاره وأبنائه الخلافة واقصاء أمراء بقية فروع الأسرة العباسيّة(٤٩)، قال علي

وأورد ابن حزم رواية رابعة تذكر أن المعتز ولد في أول سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م. (**نقط العروس**، ص٦١) مما يجعل عمره في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٥/تموز ٨٥٠م: قرابة الخمس سنوات. غير أن المرسوم الذي أصدره الخليفة المنتصر عام ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م، بخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد، يؤكد لنا رواية الدارقطني و محمد بن عمر الحافظ، إذ برر المنتصر خلع المعتز بطلب الأخير إليه ذلك، **لأن أباه المتوكل عهد إليه وهو** "**طفل لم يبلغ ثلاث سنين**، ولم يفهم ما عقد له، ولا وقف على ما قلده". أنظر المرسوم عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٤٨.

٤٦. ذكر ابن حزم أن المؤيد "كان أكبر من المعتز بنحو أربع سنين". **نقط العروس**، ص٦١. وانظر كتاب المنتصر بخلع أخويه المعتز والمؤيد عن ولاية العهد، حيث ينص على أن إبراهيم المؤيد كان "صغير، لم يبلغ الحلم" عند تعينه ولي عهد ثالث. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٤٨.

٤٧. هي بيعة الأمة التي تلقاها ولي العهد في حياة الخليفة لقطع الطريق عليها بيعة غيره عند وفاة الخليفة، بإلزامها الوفاء لمن بايعته أولاً، والوقوف إلى جانبه ضد منازعيه، علماً بأن "أيمان البيعة" التي يحلف بها لولي العهد كانت من الشدة بحيث يتعذر الوفاء بكفاراتها. **حول البيعة المتقدمة، وأثرها في الأحداث التاريخية خلال العصر العباسي**، أنظر: مضر عدنان طلفاح، **خليفة الله: دراسة في الخطاب السياسي الأموي والعباسي وتطبيقاته العملية**، مؤسسة حمادة للدراسات، إربد– الأردن، ٢٠٠٨م، ص١١٤ وما بعدها.

٤٨. وهو ما يذكرنا بخطوة جده الخليفة الرشيد (١٧٠–١٩٣هـ/٧٨٦–٨٠٨ م) ذاتها، عندما بلغه "أن جماعة من بني العباس مدّوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الرشيد: إذ لم يكن له ولي عهد"، (ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص٤٠٠). أو أبناء كبار السن يؤهلون لمبايعتهم بها. فأقدم في عام ١٧٥هـ/٧٩١م على مبايعة ابنه الأكبر محمد الأمين (١٩٣–١٩٨هـ/٨٠٨–٨١٣ م) بولاية العهد وعمره ٥ سنوات، غير مكترث إستنكار أفراد الأسرة العباسيّة "بيعته لصغر سنه". (مجهول، **العيون والحدائق**، ج٣، ص٣٩٢؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص٤٠٠). إذ كان أول طفل يبايع بولاية العهد في العهد العباسي.

٤٩. ومن الجدير بالذكر هنا أن بيعة المتوكل لأطفاله بولاية العهد كانت البيعة الثانية الناجحة في تاريخ الخلافة العباسيّة، حتى حينه، بمبايعة أطفال بها بعد بيعة الرشيد لأطفاله الثلاثة. في حين فشلت محاولتين بمبايعة أطفال، أولهما محاولة الخليفة الهادي (١٦٩–١٧٠هـ/ ٧٨٥–٧٨٦م) مبايعة ابنه الطفل جعفر. (اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٣٥٠؛ مجهول، **العيون والحدائق**، ج٣، ص٢٨٥؛ ابن العمراني، **الأنباء**، ص٧٣). وعمره "سبع سنين أو نحوها". (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٢٣). والثانية محاولة الخليفة الأمين مبايعة ابنه الطفل موسى. (المقدسي، **البدء والتاريخ**، ج٦، ص١٠٧؛ مجهول، **العيون والحدائق**، ص٣٢٣؛ ابن العمراني، **الأنباء**، ص٨٩). في حين وقف سن أولاد الخليفة المحتضر عقبة أمام توريثهم الخلافة، وحرمانهم منها مطلقاً بنقلها إلى أحد إخوته مرتين حتى حينه، أولهما: صغر سن ابن أول الخلفاء العباسيين أبي العباس (١٣٢–١٣٦هـ/٧٤٩–٧٥٤م) لتنتقل الخلافة إلى أخيه الخليفة المنصور (١٣٦–١٥٨هـ/٧٥٤–٧٧٥م) واستقرارها في نسله من بعده. (أحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **أنساب الأشراف**،

بن الجهم في قصيدة مدح بها المتوكل، يؤكد على ذلك[٥٠]:[مخلع البسيط]

بسر من رأى لنا إمام تغرف من بحره البحار

فالمُلك فيه وفي بنيه ما اختلف الليل والنهار

وقال إدريس بن أبي حفصة[٥١]: [الكامل]

إن الخلافة مالها عن جعفر نـــور الهدى وبنيه من تحويل

وكان ثالث مرامي المتوكل من بيعة أبنائه بولاية العهد؛ إنهاء الدور الإداري والمالي والأمني لكبار القادة الأتراك في الدولة، الذي تعاظم نتيجة لسياسة المعتصم توليتهم ولايات الدولة، ومنحهم صلاحيات تعيين مسؤوليها في مختلف القطاعات من غيرالرجوع إليه، بعد أن قام في عام ٢٢٥هـ/٨٣٩م بتتويج القائد التركي أشناس (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) و "ألبسه وشاحين بالجوهر"[٥٢]، مولياً إياه على "الشام جميعه، والجزيرة [الفراتية]، ومصر"[٥٣]، ليشرع أشناس في تعيين ولاتها ومسؤوليها.[٥٤] كما قام المعتصم في ذات العام بتولية القائد التركي إيتاخ على اليمن[٥٥]، مضافاً إلى ما كان

١٣ج، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٤، ص٢٣٨). وثانيهما: صغر سن أولاد الخليفة الواثق، لتنتقل الخلافة إلى أخيه المتوكل. (الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٥٤؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٤، ص١٧٥؛ غرس النعمة، **الهفوات النادرة**، ص٣٦٢-٣٦٥). في حين أدى موت الخليفة المأمون المفاجئ والمريب دون تسميته رسمياً أحد أبنائه ولياً للعهد، إلى انتقال الخلافة إلى أخيه المعتصم واستمرارها في أبنائه من بعده. (اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٣٠؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص٥٤؛ مسكويه **تجارب الأمم**، ج٤، ص٣). وهو ما يجعل بيعة المتوكل لأطفاله بولاية العهد مثقلة بتجربة من سبقه من الخلفاء، وتبدي لنا حرصه البالغ على ضمان الخلافة لأبنائه من بعده، حتى أنه بايع لثلاثة منهم، شأنه في ذلك شأن جده الرشيد، مع ملاحظة الفارق التنفيذي بينهما، إذ بايع الرشيد لأطفاله على ثلاث دفعات؛ فبايع للأمين عام ١٧٥هـ/٧٩١م (اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٣٥٤؛ الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٨، ص٢٤٠؛ الأزدي، **تاريخ الموصل**، ج٢، ص٢٧٤؛ المقدسي، **البدء والتاريخ**، ج٦، ص١٠٦). ثم أضاف ابنه المأمون ولي عهدٍ ثانٍ عام ١٨٢هـ/٧٩٨م (الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٨، ص٢٦٩؛ الأزدي، **تاريخ الموصل**، ج٢، ص٢٩٣؛ مجهول، **العيون والحدائق**، ج٣، ص٣٠١. وذهب اليعقوبي أنها كانت في سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م. **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٣٦١). ثم ختم بمبايعة ابنه المؤتمن ولي عهدٍ ثالث في عام ١٨٦هـ/٨٠٢م. (الأزدي، **تاريخ الموصل**، ج٢، ص٣٠١؛ المقدسي، **البدء والتاريخ**، ج٦، ص١٠٧. ونص اليعقوبي أنها كانت في عام ١٨٩هـ/٨٠٤م. **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٣٧٣). **في حين بايع المتوكل لأطفاله الثلاثة دفعة واحدة، وهو ما يبدي لنا تمكن الرشيد وطمأنينته، ويعري لنا قلق المتوكل وتوجسه.**

٥٠. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٧، ص١٧٧.

٥١. المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص١٤٩.

٥٢. عمر بن أحمد ابن العديم، (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٤٢. **وانظر أيضاً**: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٠٣؛ مجهول، **العيون والحدائق**، ج٣، ص٤٠٤.

٥٣. ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص٤٢.

٥٤. محمد بن يوسف الكندي (ت٣٥٣هـ/٩٦١م)، **الولاة والقضاة**، تحقيق: محمد حسن وأحمد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٤٧؛ ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص٤٢.

٥٥. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٠٣؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٦٢.

يليه من إدارة الشرطة في العاصمة سامراء(٥٦).

وشهد عهد الواثق إمعاناً في نهج تولية كبار القادة الأتراك، إذ قام في عام ٢٢٨هـ/٨٤٢م بتتويج القائد التركي أشناس و "ألبسه وشاحين بالجوهر"(٥٧) وولاه الجناح الغربي للدولة "من بابه إلى آخر عمل المغرب. فوجه عماله، وكتب إلى محمد بن إبراهيم الأغلب بولاية المغرب من قِبَلِهِ"(٥٨).كما ولى الواثق أيضاً القائد التركي إيتاخ الجناح الشرقي للدولة "خراسان، ...، والسند وكور دجلة"(٥٩)، بالإضافة إلى اليمن(٦٠). ليقوم بدوره بتعيين ولاتها(٦١). ولما توفي أشناس عام ٢٣٠هـ/٨٤٤م عهد الواثق بولاياته لإيتاخ، فبادر بتعيين ولاته عليها(٦٢).وبذلك أضحى إيتاخ المتصرف بتعيين جميع ولاة الدولة في جناحيها الشرقي والغربي. ولم يقتصر الواثق بإيتاخ على ذلك فحسب، بل أوكل إليه في العاصمة سامراء جميع المناصب الأمنية والعسكرية، فولاه إضافة إلى قيادة الجيش؛ البريد (المخابرات)، وشرطة سامراء، وأمن دار الخلافة، والحجابة(٦٣)، وعندما تولى المتوكل الخلافة في شهر ذي الحجة عام ٢٣٢هـ/آب ٨٤٧م استمر إيتاخ يزاول جميع سلطاته الإدارية(٦٤) والعسكرية والأمنية(٦٥)، كما هو حاله أيام الواثق، حتى مطلع عام ٢٣٥هـ/٨٤٩م عندما أقدم المتوكل على قتله، بعد أن ضاق ذرعاً بنفوذه الكبير في الدولة، واستشعاره الخطر منه لارتيابه في ولائه، كما أسلفنا الحديث عنه.

كان المتوقع، جرياً على ما استقر عليه النهج أيام المعتصم والواثق، أن يعهد المتوكل إلى أحد القادة الأتراك بجميع مناصب إيتاخ، أو أن يقوم بتفريقها بين عدد منهم، إلا أنه وقد استشعر خطر حيازتهم هذه السلطات الواسعة، ولارتيابه في ولائهم لشخصه وخلافته، ولإجهاض أي مسعى لهم لعزله، واستغلال تبعية الولاة والأجهزة الأمنية لهم في تحقيق مبتغاهم(٦٦)، كان يضمر في نفسه إنهاء الدور الإداري والأمني والمالي للقادة الأتراك، وتحجيم نفوذهم في مؤسسات الدولة وولاياتها، والاقتصار بهم على وظيفتهم العسكرية فحسب، فعمد إلى تولية ولاة عهده إدارة ولايات الدولة

---

٥٦. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٦؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٨٢.
٥٧. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٢٤، ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٣٦١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٦٩.
٥٨. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤١. وانظر أيضاً: الكندي، **الولاة والقضاة**، ص١٤٧؛ ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص٤٢.
٥٩. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤١.
٦٠. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٢٨.
٦١. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤١، ٤٤٩.
٦٢. الكندي، **الولاة والقضاة**، ص١٤٧-١٤٩.
٦٣. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٦-١٦٧؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١١٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٨٢.
٦٤. أنظر في ذلك: اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤٩؛ الكندي، **الولاة والقضاة**، ص١٤٨، ١٤٩.
٦٥. أنظر في ذلك: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٦-١٦٧؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١١٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٨٢.
٦٦. تعزز هذا التوجه عند المتوكل إثر بلوغه أنباء تآمر القائد إيتاخ للإطاحة به في عام ٢٣٤هـ/٨٤٩م، وانسياق بعض الولاة الذين عينهم معه في مؤامرته ضد الخليفة المتوكل. أنظر في ذلك: اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٤٩.

العباسيّة التابعة لها، آنذاك، وقام بتقسيمها بين ثلاثتهم في العام نفسه ٢٣٥هـ/٨٥٠م، ظفر المنتصر بأوسعها مساحة، وتلاه المعتز بأخطرها من حيث الإرث التاريخي العباسي: خراسان ولواحقها، واقتصر بالمؤيد على بلاد الشام فقط.(٦٧) وأصبحت التولية في هذه الولايات تصدر عن ولاة العهد فقط(٦٨)، في جميع مناصبها: الإدارية والمالية والأمنية والقضائية(٦٩).

كما عين المتوكل في العام نفسه ٢٣٥هـ/٨٥٠م أيضاً الفتح بن خاقان (قتل ٢٤٧هـ/٨٦١م) مسؤولاً عن "أخبار الخاصة والعامة في سامراء وما يليها"(٧٠)، وأفرد إسحق بن إبراهيم المصعبي بقيادة الشرطة في العاصمة سامراء(٧١)، وعين إسحق بن يحيى بن معاذ قائداً للحرس (أمن دار الخلافة والخليفة)(٧٢)، وهكذا لم يُبقِ المتوكل بيد القادة الأتراك مما حازه إيتاخ ومن سبقه منهم، إلا قيادة الجيش، والحجابة فقط لا غير(٧٣)، مخرجاً بذلك المناصب الأمنية والإدارية من قبضتهم.

---

٦٧. أناط المتوكل بالمنتصر ولايات "إفريقية والمغرب كله من عريش مصر إلى حيث بلغ سلطانه من المغرب، وجند قنسرين والعواصم والثغور الشامية والجزرية، وديار مضر وديار ربيعة، والموصل وهيت وعانات والخابور وقرقيسيا، وكور باجرمى وتكريت، وطساسيج السواد وكور دجلة، والحرمين واليمن وعك وحضرموت، واليمامة والبحرين، والسند ومكران وقندابيل وفَرْج بيت الذهب، وكور الأهواز، والمستغلات بسامراء، وماه الكوفة وماه البصرة، وماسبذان ومهرجان قذق وشهرزور ودراباذ، والصامغان وأصبهان وقم وقاشان، وقزوين وأُمور الجبل والضياع المنسوبة إلى الجبال، وصدقات العرب بالبصرة". في حين عهد إلى المعتز بولايات "كور خراسان وما يضاف إليها، وطبرستان والري، وأرمينية وأذربيجان، وكور فارس". أما المؤيد فقد اقتصرت ولايته على "جند دمشق وجند حمص وجند الأردن وجند فلسطين". الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٦. وانظر أيضاً: اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص ٤٥١؛ المقدسي، **البدء والتاريخ**، ج٦، ص ١٢٠؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص ٤٣٧؛ ابن الاثير، **الكامل**، ج٥، ص ٢٨٤؛ ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٨، ص٣٧٦٢.

٦٨. **أنظر أمثلة للتوليات الصادرة عن ولي العهد المنتصر في ولاياته عند:** الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٨٣؛ الكندي، **الولاة والقضاة**، ص١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٨٧؛ ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص٤٤. **وأمثلة للتوليات الصادرة عن ولي العهد المعتز عند:** الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٨٣، ص٢٥٠؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٨٧.

٦٩. حدد المتوكل صلاحيات ولاة العهد في ولاياتهم في المرسوم الذي أصدره في شهر ذي الحجة عام ٢٣٥هـ/ تموز ٨٥٠م، إذ نص على شمولها: "الصلاة [الإدارة]، والمعاون [الشرطة]، والقضاء والمظالم، والخراج والضياع والغنيمة والصدقات، وغير ذلك من حقوق أعمالها، وما في عمل كل واحد منهما من البريد، والطرز و خزن بيوت الأموال، والمعاون، ودور الضرب". أنظر مرسوم المتوكل عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٧-١٧٨.

٧٠. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٢١. وانظر أيضاً: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٨٤.

٧١. محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥/٨٥٩م)، **المحبر**، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت، ص٣٧٦؛ اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٧؛ محمد بن عمران المرزباني (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، **معجم الشعراء**، تحقيق: عبد الستار فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت، ص٣٨٣-٣٨٤. ومن الجدير بالذكر أن إسحق بن إبراهيم كان صاحب الشرطة في سامراء منذ عهد المعتصم، وخلال عهد الواثق، (ابن حبيب، **المحبر**، ص٣٧٦) إلا أن المعتصم ولي إيتاخ الشرطة في سامراء "مع إسحق بن إبراهيم، وكان من قِبَله رجل، ومن قِبَل إسحاق رجل". (الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٧). ولعله من نافلة القول التأكيد على أن المتولي الحقيقي للشرطة في العاصمة كان إيتاخ، خاصة بعد كل ما ولاه إياه المعتصم والواثق من مناصب.

٧٢. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٧.

٧٣. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٧، علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **التنبيه والإشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص٣٣٠.

وكانت آخر مرامي المتوكل من بيعة أبنائه الثلاثة بولاية العهد: إضعاف قوة الجيش السياسية بتفتيت وحدته[٧٤] من جهة، واصطناع ولاءات جديدة له منحصرة بأبنائه ولاة العهد تحديداً، واقصاء غيرهم من أمراء البيت المعتصمي، من جهة أخرى. إذ عمد المتوكل إلى تقسيم الجيش على ثلاثتهم بأن خصص لكل ولي عهد منهم قسماً منه اختص بتبعيته وولائه، من غير أخويه أو غيرهم. وحرص المتوكل على تفعيل إجرائه هذا وتنفيذه وضمان ديمومته في حياته وبعد وفاته من خلال المرسوم الذي أصدره بتقليده العهد لأبنائه الثلاثة في شهر ذي الحجة عام ٢٣٥هـ/م، حيث أكد فيه المتوكل إلحاق قسم من "القواد والجند والشاكرية والموالي والغلمان" بكل ولي عهد في حياته[٧٥]، على أن يكون مستقلاً بإدارته العسكرية عن قسمي أخويه الآخرين، وأن يتميز عنهما بكتابة اسمه على أعلام تشكيلاته العسكرية، ووسم دوابها به[٧٦]، وأكد المتوكل، في المرسوم، على ولي عهده الأول المنتصر عدم نقض هذا التقسيم عند توليه الخلافة من بعده، وألزمه تنفيذه واستمرار العمل به، مشدداً عليه عدم المساس بتبعية ما ألحق بأخويه وليي العهد من قوات عسكرية، وأن "لا ينقل عن واحد منهما أحداً من ناحيته من: القواد والجند والشاكرية والموالي والغلمان وغيرهم" وألزمه حال توليه الخلافة "أن يُشخِصَ [أخاه المعتز إلى ولايته في خراسان، و] معه جميع من ضم إليه أمير المؤمنين، ويضم إليه، من مواليه وقواده وشاكريته وأصحابه"، وأن يخرج أيضاً أخاه المؤيد "إلى الشام وأجنادها فيمن ضم أمير المؤمنين، ويضمه، إليه من مواليه وقواده وخدمه وجنوده وشاكريته"[٧٧].

وقد أثبتت الأحداث اللاحقة نجاح المتوكل بالفعل في اصطناع ولاءات جديدة للجيش انحصرت بأولاده ولاة العهد، واقصاء غيرهم من أمراء البيت العباسي. إلا أن المتوكل بصنيعه هذا نقل مستوى الصراع والتنافس إلى أسرته هو شخصياً، إذ بات لكل قسم في الجيش مرشح "متوكلي" ينحصر به ولاؤه دون غيره من أخويه ولييّ العهد الآخَرين، سواء كان ذلك في حياة المتوكل أو بعد وفاته، ويرى تلازم مصلحته مع وصوله إلى الخلافة، ويستشعر خطر وصول غيره من أخويه إليها لتيقنه أنها الخطوة الأولى في تهميش دوره في الدولة، واستبعاده عن مكاسبها، وهو ما اتضح لنا في غير حدث. أولها الدعم المطلق الذي تلقاه ولي العهد الأول المنتصر بالله من الجيش الملحق به ضد

---

٧٤. كان الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) قد استشعر خطر وحدة الجيش العباسي على سلطته، وصرح لأحد مستشاريه بمخاوفه: "أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر [الخلافة] من أيدينا". وهو ما دفعه لضرب وحدة الجيش بإذكاء العصبية القبلية بين أفراده. أنظر في ذلك: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٨، ص٣٧-٣٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٣، ص١٢٥-١٢٧؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٣-٣٤.

٧٥. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٨.

٧٦. وهو ما يفهم من المرسوم الذي أصدره الخليفة المنتصر عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م بخلع أخويه المعتز والمؤيد، حين كلف الولاة أن "يسقطوا كل ما ثبت في دواوينهم من رسومهما القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضموماً إليهما، ويزيلوا عن الأعلام والمطارد من ذكرهما، وما وسمت به دواب الشاكرية والرابطة من أسمائهما". أنظر مرسوم المنتصر عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٥٠.

٧٧. أنظر نص مرسوم المتوكل بولاية العهد لأبنائه الثلاثة عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٦-١٨٠، والنص المقتبس ص١٧٩.

والده المتوكل عند شروعه في إجراءات عزله عن ولاية العهد الأولى وتقديم أخيه المعتز إليها، حتى آل الأمر إلى مشاركتهم إياه في الانقلاب ضد والده المتوكل ومبايعته بالخلافة سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، وهو ما سنعود إلى مناقشته وتجليته تالياً. وثانيهما تحرك الجيش الملحق بولي العهد الثاني المعتز بالله ضد الخليفة المنتصر حال بلوغهم أنباء مقتل المتوكل ومبايعته بالخلافة[٧٨]، وهو ما أشعر المنتصر بالخطر لعدم تمتعه بولاء الجيش أجمع كخليفة، فسارع إلى عزل أخويه المعتز والمؤيد عن ولاية العهد، وألغى تقسيم الجيش، وأعاد إلحاقه بجميع فرقه وتشكيلاته به شخصياً، وأصدر مرسوماً إلى ولاة الدولة لإشهار عزل أخويه معلناً به إلغاء تبعيّة "من كان ضم إليهما ممن في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين ومواليه وغلمانه وشاكريته، وجميع مَن مع أولئك القواد بالحضرة [العاصمة سامراء] وخراسان، وسائر النواحي عن رسومهما، ويزال عنهم جميعاً ذكر الضم إليهما"[٧٩]. ورغم ذلك بقي الجيش الملحق بالمعتز يدين له بالولاء[٨٠]، حتى استطاع إيصاله للخلافة عام ٢٥١هـ/٨٦٥م[٨١].

غاية المتوكل الحقيقية من بيعة أبنائه بولاية العهد

يتضح لنا مما سبق أن بيعة المتوكل لأبنائه الثلاثة بولاية العهد كانت وسيلة لتثبيت خلافته، وضمانة احتكار الخلافة لنسله، وللجم الجيش عن التدخل في الحياة السياسية، وإقصائه عن ممارسة أي دور في مؤسسات الدولة وولاياتها. أما غاياته المنشودة فقد كانت إعداد ابنه المعتز لخلافته دون غيره من إخوته، بمن فيهم وليا العهد الآخرين: المنتصر والمؤيد، والقضاء على القادة الأتراك في الجيش قضاءً نهائياً، وهو ما يمكن لنا رصده ومتابعته من خلال العديد من الإشارات والسياسات التي صدرت عن المتوكل في هذا الصدد، وصولاً إلى التصريح العلني بهما، وهو ما شكل الأرضية التي هيأت لانقلاب ولي العهد الأول المنتصر بالله عام ٢٤٧هـ/٨٦١م.

---

٧٨. أنظر: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٣.

٧٩. أنظر مرسوم الخليفة المنتصر بخلع أخويه عن ولاية العهد عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٤٧-٢٥٠. والنص المقتبس: ص٢٤٨-٢٤٩.

٨٠. وهو ما ظهر جلياً في أعقاب مقتل الخليفة المنتصر عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م ومبايعة القادة الأتراك بالخلافة للمستعين، إذ تمرد "المعتزية" من الجند، حسبما دعتهم المصادر، بهدف مبايعة المعتز، إلا أن تمردهم انتهى بالفشل. أنظر: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٥٧؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٤٧؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص١٩.

٨١. ويبدو من تطورات الأحداث في عهد المعتز (٢٥١-٢٥٥هـ/٨٦٥-٨٦٩م) أن أحد أسباب مبايعته بالخلافة كان تحالفه مع الجيش الملحق بأخيه المؤيد، بوصفه ولياً لعهده. غير أن الخليفة المعتز وقد بلغه أخبار تحركهم لخلعه ومبايعة المؤيد بالخلافة عام ٢٥٢هـ/٨٦٦م عمد إلى قتله. (أنظر: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٣٦١-٣٦٢؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص١٨٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٩٦-١٩٧؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٣٣). مما أدى إلى نفورهم منه، وهو ما أسهم بإضعاف مركزه وقوته أمام الجيش، الذي انقلب عليه فخلعه وبايع المهتدي محمد بن الواثق سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م. أنظر: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٣٨٩؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص١٩١؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص٢١٣؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٧٣.

كانت أول هذه الإشارات مبايعة المعتز بولاية العهد الثانية رغم صغر سنه، إذ لم يصل عمره الى ٣ سنوات في شهر ذي الحجة عام ٢٣٥هـ/تموز ٨٥٠م، واقصاء العديد من إخوته الآخرين[٨٢] ممن يكبره سناً، وأبرزهم: إبراهيم المؤيد ولي العهد الثالث، الذي كان عمره حينئذ قرابة ٧ سنوات، كما أسلفنا القول، وأحمد بن المتوكل (الخليفة المعتمد على الله لاحقا ٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م) الذي كان عمره يومذاك ٦ سنوات و١١ شهراً[٨٣]. وطلحة بن المتوكل (الأمير الموفق ت٢٧٨هـ/٨٩١م) الذي كان عمره يومذاك ٦ سنوات و٨ شهور[٨٤]، كما ذكر ابن حزم أن موسى الأحدب وأبو عيسى محمد ابني المتوكل كانا أكبر سناً من المعتز[٨٥]، من غير أن يقدم لنا، أو غيره من المصادر، تاريخاً محدداً لميلادهما. وهو ما يثبت أن المعتز كان صاحب الحظوة عند والده المتوكل، وهو النتيجة الطبيعية لحظوة والدته "قبيحة" عنده، فأثره بولاية العهد الثانية على بقية إخوته[٨٦]. أما تقديم المنتصر عليه في ولاية العهد الأولى، فقد أثبتت الأحداث التالية أن المتوكل كان ينظر إليها كولاية مرحلية لحين بلوغ المعتز، عامداً حتى ذلك الحين إلى استغلال سن المنتصر، المتقدمة نسبياً بين أولاده، كصمام أمان ليضفي على بيعة أبنائه بولاية العهد قوة وإلزاماً.[٨٧] في حين كان المؤيد تدعيماً وتثبيتاً مرحلياً لضمان احتكار أسرته للخلافة، إذا ما طرأ طارئ يهدد ذلك[٨٨]، دون أن يشكل تهديداً للمعتز لترتيبه تالياً له في ولاية العهد.

وكانت الإشارة الثانية عند تقسيم المتوكل لولايات الدولة العباسية، آنذاك، على ولاة عهده، إذ خصَّ المعتز بولاية خراسان، وتتأتى أهميتها خلال هذه الحقبة من عدة نواحي، أولها: الإرث

---

٨٢. أنظر أبناء المتوكل عند: ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٢٦-٢٧.

٨٣. ولد المعتمد أحمد بن المتوكل في ٢٢ محرم سنة ٢٢٩هـ/٢١ تشرين أول ٨٤٣م. ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٥، ص٣٨١. **وانظر أيضاً**: ابن حزم، **نقط العروس**، ص٦١؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٤، ص٢٨١؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٨٩؛ ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٢، ص٦٠٦.

٨٤. ولد الموفق طلحة في ٢ ربيع الأول سنة ٢٢٩هـ/٢٩ تشرين ثاني ٨٤٣م. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٢، ص١٢٥؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٢، ص٢٢٢. **وانظر أيضاً**: ابن حزم، **نقط العروس**، ص٦١.

٨٥. **نقط العروس**، ص٦١.

٨٦. **المصدر نفسه**، ص٦١؛ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ١٧ج، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٥، ص ١٠٩٩.

٨٧. وهو ما يظهر من الندم الذي أبداه المتوكل من بيعته للمنتصر بولاية العهد الأولى، عندما بدأ يتحصن بالأتراك لرفض الرضوخ لمطلبه التنازل عن ولاية العهد الأولى لأخيه المعتز، وهو ما دفع المتوكل للاستشهاد بقول الشاعر: [الكامل]

هم سمنوا كلباً ليأكل بعضهم
ولو عملوا **بالحزم** ما سمنوا الكلبا

غرس النعمة، **الهفوات النادرة**، ص ١٩.

٨٨. بايع الخليفة المعتمد بن المتوكل في عام ٢٦١هـ/٨٧٤م ابنه الطفل جعفر بولاية العهد الأولى، وأخيه الموفق طلحة بن المتوكل بولاية العهد الثانية، مبرراً ذلك ومشترطاً إياه في مرسوم التولية لهما بولاية العهد بـ "إن حدث به حدث الموت وجعفر لم يَكْمُل للأمر، أن يكون الأمر لأبي أحمد [الموفق] ثم لجعفر، وأخذت البيعة على الناس بذلك، وفرقت نسخ الكتب بذلك" إلى ولايات الدولة. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص١٣١. وانظر أيضاً: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٢، ص١٢٥؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٦، ص٢٤٢.

التاريخي المرتبط بالدولة العباسيّة، وشيعتها، إذ كانت مهد الدعوة العباسية، ومنطلق ثورتها، وقاعدة أنصارها ورجالاتها خلال القرن الأول من عمر الدولة[٨٩]. وثانيهما: الدلالة الرمزية التاريخية لولاية أبناء الخلفاء العباسيين عليها، إذ عدت ولاية احدهم عليها إعداداً له وتهيئة لمبايعته بالخلافة في صدر الدولة العباسية[٩٠]، ثم أصبحت الدلالة في عهد الرشيد التمكين لولي العهد الثاني وتحصين حقه في الخلافة ضد أي خطوة مستقبلية لخلعه على يد ولي العهد الأول عند توليه الخلافة[٩١]. وهو ما كان المتوكل يهدف إليه من تولية المعتز خراسان تحسباً لحدث يحول بينه وبين تقديمه إلى ولاية العهد الأولى، لذا أكد المتوكل في مرسوم ولاية العهد على المنتصر عند اعتلائه الخلافة الالتزام بما رتبه من ولاية العهد لأخويه "وألا يخلعهما ولا واحداً منهما، ولا يعقد دونهما ولا دون واحد منهما بيعة لولد، ولا لأحد من جميع البرية، ولا يؤخر منهما متقدماً، ولا يقدم منهما مؤخراً، ولا ينقصهما ولا واحد منها شيئاً من أعمالهما التي ولاها عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين كل واحد منهما"[٩٢]، ومن الجلي أن كل هذه القيود كانت تصب في تحصين مركز المعتز، وحفظ حقه في الخلافة مستقبلاً، إذا تعذر مشروع المتوكل بتقديمه إلى ولاية العهد الأولى، ولهذا وإمعاناً في التأكيد على هذا الهدف ألزم المتوكلُ ابنه المنتصر في مرسوم ولاية العهد، حال اعتلائه الخلافة "أن يُمضي أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين على خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها، وأن يسلم له ولايتها وأعمالها كلها، وأجنادها والكور الداخلة فيما ولي جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين، فلا يعوقه عنها، ولا يحبسه قِبَلَهُ، ولا في شيء من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة إليها، وأن يُعَجِّلَ إشخاصه إليها والياً عليها وعلى جميع أعمالها، مُفْرَداً بها، مفوضاً إليه أعمالها كلها، لينزل حيث أحب من كُور عمله ولا ينقله عنها، ...، ولا يشرك في شيء من أعماله أحداً، ولا يوجه عليه أميناً ولا كاتباً ولا بريداً، ولا يضرب

٨٩. وصف الجاحظ الدولة العباسية بالقول: إنها "صارت عجمية خراسانية". عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)، **البيان والتبيين**، ٤ج، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٣، ص٣٦٦. وقال ابن حزم يصف دولة بني العباس: "كانت دولتهم أعجمية، سقطت فيها دواوين العرب، وغلب عجم خراسان على الأمر". **الخلفاء والولاة**، ص١٤٦. ورغم ما يوصفها من المبالغة الظاهرة، فإنه بلا شك يحمل دلالات أهمية أهل خراسان، عربهم وعجمهم، في الدولة العباسية في القرن الأول من عمرها. **انظر في ذلك**: فاروق عمر، **طبيعة الدعوة العباسية**، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٧م، ص ٢٧٨ وما بعدها.

٩٠. لما اعتزم أبو جعفر المنصور خلع ابن أخيه عيسى بن موسى (ت١٦٧هـ/٧٨٣م) عن ولاية العهد ومبايعة ابنه محمد المهدي، بدأ بإعداده وتهيئته، فقام في هذا السياق بتعيينه والياً على خراسان عام ١٤١هـ/٧٥٨م، وهو ما ارتآه بعض المقربين من عيسى نذير خطر على منصبه كولي للعهد، فقال محذراً إياه: "لو دبّر تمام الأمر لك لولاك خراسان بلد شيعتك، ...، ومن المحال أن يوليك خراسان بعد الظاهر منه فيك". ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ص٢٣١.

٩١. أنظر خطوات الرشيد لتحصين منصب المأمون كولي عهد ثانٍ، وأهمية ولاية خراسان في حماية المأمون من أخيه الأمين، ودورها في إيصاله للخلافة عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٨، ص٣٤١ وما بعدها؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص١٢٧ وما بعدها.

٩٢. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٧.

على يده في قليل ولا كثير"[٩٣]. وهو ما يعني عند التطبيق على أرض الواقع الاستقلال التام للمعتز في خراسان عن سلطة المنتصر في العاصمة سامراء، والمتوكل يستنسخ بذلك تجربة المأمون مع أخيه الأمين، هادفاً من وراء ذلك إلى تحصين المعتز ضد أي خطوة لعزله على يد أخيه المنتصر.

وثالثاً كانت ولاية خراسان وتوابعها، وعلى الأخص ولاية بغداد، تحت إدارة الأسرة الطاهرية منذ عام ٢٠٥هـ/٨٢٠م، والتي عرف عنها ولائها المطلق للخلافة العباسية[٩٤]، وهو ما يبدو أن المتوكل كان يرنو إلى استثماره لصالح ابنه المعتز تحديداً، فعهد إليه بولاية خراسان وتوابعها ليحوز ولاء الطاهريين ودعم القوات العسكرية التابعة لهم في خراسان، وبغداد[٩٥]. كما يبدو أن المتوكل رأى بالطاهريين قوة مساندة له وللمعتز أمام الأتراك في سامراء[٩٦]، وهو ما يظهر من حرصه على تمتين علاقة المعتز بهم، ذخيرة للمستقبل، الأمر الذي كان الأتراك يعونه، ويدركون عواقبه[٩٧]. غير أن الأحداث التالية بيّنت عجز الطاهريين عن تأدية الدور الذي أمله المتوكل منهم، ولعل مرد ذلك أن "دور ضعفهم وانحطاطهم [كان] موافقاً لدور تضعضع الخلافة"[٩٨] وصراعها مع الأتراك.

وانبثق عن إشارات المتوكل بإعداد المعتز لخلافته دون غيره من إخوته، واستبعاد القادة الأتراك نهائياً من الجيش، عدد من السياسات تمثل أولها بإعادة المتوكل الاعتبار للشيعة العباسية[٩٩]

٩٣. أنظر المرسوم عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٩.
٩٤. عبد العزيز الدوري، **دراسات (الإمارات الفارسية: الطاهريون)**، ص٨٧.
٩٥. طلب الخليفة المعتز في سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م دعم الطاهريين العسكري ضد الأتراك في سامراء فبعث محمد بن طاهر الطاهري أمير خراسان (٢٤٨-٢٥٩هـ/٨٦٢-٨٧٢م) عمه سليمان بن عبد الله "في خلق كثير من جند خراسان" فسار حتى "دخل إلى سر من رأى والناس لا يشكون في أنه سيغلب" الأتراك، إلا أن المعتز اضطر تحت تهديد الأتراك وضغطهم إلى إخراج الخراسانيين إلى بغداد. (اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٢٦٧-٢٦٨). مع ملاحظة أن اليعقوبي ذكر أن أمير خراسان آنذاك كان طاهر بن عبد الله، وهو غير صحيح لأن طاهراً مات في سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م، قبل تولي المعتز الخلافة بثلاث سنين.
٩٦. لما توفي أمير بغداد محمد بن إسحاق الطاهري في سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م "جزع عليه المتوكل جزعاً" بيّناً. (الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٨٥). ولما توفي خلفه محمد بن عبد الله بن طاهر سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م "اشتد وَجْدُ المعتز عليه، وكان يرى أن الأتراك يهابونه من أجله ولمكانه". علي بن محمد الشابشتي (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٢٨.
٩٧. لما اتفق الأتراك بعد قتل الخليفة المنتصر عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م على إخراج الخلافة عن آل المتوكل، ومبايعة المستعين بها، لم يكونوا "لأحد أخوف منهم لصاحب خراسان" طاهر بن عبد الله بن طاهر، غير أنه توفي بعد بيعة المستعين مباشرة، "فأفرخ روعهم. ودبروا أن يخرجوا [أخاه أمير بغداد] محمد بن عبد الله من العراق إلى خراسان"، إلا أنهم فشلوا في ذلك. (اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٩). ولهذا عاتب المعتز في سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م أثناء حربه مع المستعين أميرَ بغداد محمد بن عبد الله الطاهري لانحيازه إلى جانب المستعين ضده، وأرسل له رسالة فيها "تذكير بما يجب عليه من حفظه لقديم العهد بينه وبين المعتز والحرمة، وأن الواجب كان عليه أن يكون أول من سعى في أمره، وتوجيه خلافته". الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٣١٤.
٩٨. عبد العزيز الدوري، **دراسات (الإمارات الفارسية: الطاهريون)**، ص٨٧.
٩٩. مصطلح عباسي اطلق على انصار الخلافة العباسية المنتمين فكرياً لطروحات الدعوة العباسية ابان ثورتها على الخلافة الاموية، والذين استمروا على الولاء للخلافة العباسية منذ إعلانها عام ١٣٢هـ/٧٤٩م، وتولوا الدفاع، فكرياً وعسكرياً، عن طروحاتها العقائدية والسياسية امام خصومها.

وطروحاتها العقائدية في الدولة ومؤسساتها، إذ كانت آخر تجلياتها العقائدية قد تمت في عهد الخليفة المأمون، الذي أبدى حرصاً ظاهراً على تمكين رجالات الشيعة العباسية في مؤسسات الدولة(١٠٠)، وحافظ على التقليد العباسي، الذي سنّه الخليفة المنصور(١٠١)، بكتابة "رسالة الخميس"(١٠٢) الى الشيعة العباسية في خراسان.(١٠٣) في حين شهد عهد المعتصم تهميش الشيعة العباسية وعقائدها في الدولة ومؤسساتها منذ تأسيس القوة العسكرية ذات العرق التركي، قال ابن الفقيه الهمذاني (حياً ٢٩٠هـ/٩٠٣م): إن المعتصم بنى مدينة سامراء "تبعيداً لمواليه الأتراك عن أبناء الدعوة من أهل مدينة السلام"(١٠٤)، بل إن المعتصم أمعن في تحقيق هذه الغاية في سامراء ذاتها، إذ أفرد الأتراك في أحياء خاصة بهم، ومنعزلة عن بقية سكان سامراء، وحظر عليهم التزاوج والاختلاط مع غيرهم(١٠٥)، وهو ما يُظهر حرص المعتصم على عدم تأثر الأتراك بطروحات الشيعة العباسية العقائدية، ناهيك عن غيرها. ويبدو أن نفور المعتصم من الشيعة العباسية مرده استشعاره خطر طرحها العقائدي على شرعية خلافته، نظراً لعدم حيازته أهم شروط الإمامة عندهم وهو "نص الإمام" السابق على إمامته/خلافته من بعده(١٠٦)، ولعل ما كرس نفور المعتصم من الشيعة العباسية اشتراك قادة الجيش،

---

١٠٠. محمد بن الحسن ابن حمدون (ت٥٦٢هـ/١١٦٦)، **التذكرة الحمدونية**،١٠ج، تحقيق: إحسان وبكر عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص ٤٦٢-٤٦٣.

١٠١. محمد بن إسحاق النديم (حياً ٣٧٧هـ/٩٨٧م) **الفهرست**، ٤ أقسام في مجلدين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، مج١ ق١، ص٣٦٦.

١٠٢. هي رسالة عقائدية كان الخلفاء العباسيون يكتبونها إلى شيعتهم في خراسان وغيرها، يؤكد فيها كل خليفة منهم على أسسهم العقائدية، والتي انبثق عنها مفردات من الخطاب السياسي العباسي، وأبرزها حصر الخلافة في بني العباس، دون غيرهم. وتتضمن "**تأييد الخليفة الحاضر خاصة، والإشادة بذكره وتعداد مناقبه ومآثره، وأنه أولى أهل بيته بالخلافة. وكانوا يبعثون بهذه الرسالة إلى خراسان، فتتلى على أهلها ويحشرونهم لسماعها، تفخيماً لشأن الخليفة لديهم، وتجديداً لولائهم لبني العباس، واستدامتهم على التشيع لهم**". أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة**، ٤ج، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، ج٣، ص٣١٧، هامش (٧).

١٠٣. أنظر نص "رسالة الخميس" الصادرة عن المأمون عند: احمد فريد رفاعي، **عصر المأمون**، ٣ج، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ج٣، ص ٢٦ وما بعدها؛ أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٣، ص ٣١٧ وما بعدها.

١٠٤. أحمد بن محمد ابن الفقيه الهمذاني (حياً ٢٩٠هـ/٩٠٣م)، **بغداد مدينة السلام**، تحقيق: صالح أحمد العلي، ط١، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧م، ص٧٩.

١٠٥. اليعقوبي، **البلدان**، ص٥٩؛ عبد العزيز الدوري، **العصر العباسي الأول**، ص١٩٩.

١٠٦. أنظر شرط الشيعة العباسية هذا، وهو أحد إضافات الخليفة المهدي الى عقيدتهم، عند: سعيد بن عبد الله الأشعري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، **المقالات والفرق**، تحقيق: محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري، طهران، ١٩٦٣م، ص٦٥-٦٦. **ولعل هذا ما قد يفسر لنا** ما أورده اليعقوبي من رواية ركيكة وسطحية للمعتصم عن حيازته لـ "عهد/نص" من والده الرشيد، حتى وإن كان عهداً شخصياً غير معلن للملأ. حيث نقل عن المعتصم قوله: "أمر الرشيد يوماً أن يخرج ولده إلى الصيد، فخرجتُ مع محمد [الأمين] والمأمون وأكابر ولد الرشيد، فاصطاد كل واحد منّا صيداً واصطدتُ بومة، ثم انصرفنا وعرضنا صيدنا عليه، فجعل من كان معنا من الخدم يقول: هذا صيد فلان وهذا صيد فلان حتى عرض عليه صيدي، فلما رأى البومة، وقد كان الخدم أشفقوا من عرضها لئلا يتطير بها أو ينالني منه غلظة، فقال: من صاد هذه؟ قالوا: أبو إسحق [المعتصم]. فاستبشر وضحك وأظهر السرور، ثم قال: **أما أنّه يلي الخلافة، ويكون جنده وأصحابه والغالبون عليه قوماً**

الذي ورثه عن المأمون، في حركة العباس بن المأمون لإقصائه عن الخلافة، إذ كان غالبهم، إن لم نقل جلهم، مشبعين بعقائديتها.

ترتب على موقف المعتصم المناهض للشيعة العباسية الشروع بإضعاف مجالات تأثير خطابها العقائدي في الدولة والمجتمع(١٠٧)، وعدم الاعتماد عليها(١٠٨)، وإقصاء رجالاتها الخراسانيين، من العرب والعجم، عن قيادات الجيش، والمناصب الفاعلة في الدولة، فـ "أضعف أمور الخراسانية جند أبائه، واستظهر بالأتراك"(١٠٩)، فقوض بذلك "الدعائم التي قامت عليها الدولة العباسية وهي: الفرس! والعرب، والدعوة".(١١٠) وهو ما سار عليه ابنه الواثق من بعده، بل أنه أمعن في تمكين الأتراك من الجيش ومؤسسات الدولة وولاياتها(١١١). إلا أن المتوكل وقد كان عازماً على التخلص من الأتراك وهيمنتهم على الدولة عمد إلى إعادة الاعتبار للشيعة العباسية، وطروحاتها العقائدية في الدولة والمجتمع، والاستعانة بأبناء رجالها وأحفادهم في مؤسسات الدولة والقيادات الأمنية والعسكرية(١١٢)، معتمداً على ولائهم العقائدي المطلق للخلافة العباسية، إذ هم "المنسوبين إلى الطاعة والمناصحة والمحبة الدينية، دون محبة الرغبة والرهبة"(١١٣). فبدأ المتوكل تحشيد رجال الشيعة العباسية من بغداد مركز "بقية رجال الدعوة وأبناء الشيعة"(١١٤) في العراق، ومن خراسان وغيرها(١١٥). في ذات الوقت

وجوههم مثل وجه هذه البومة [الأتراك]، **فيبني مدينة قديمة** [سامراء]، **وينزلها هؤلاء القوم، ثم ينزلها ولده من بعده.** وما سُرَّ الرشيد يومئذ بشيء من الصيد كما سُرَّ بصيدي تلك البومة"!! **البلدان،** ص٥٧. ويبدو أن المعتصم اضطر إلى ادعاء عهد الرشيد غير العلني بعد أن فشلت محاولته تأكيد "نص المأمون" عليه لخلافته عند احتضاره، (أنظر: الطبري، **تاريخ الأمم،** ج٨، ص٦٤٥ وما بعدها. **وقارن مع:** ابن أعثم، **الفتوح،** مج٤، ص ٤٦٦). إذ أثبت تحرك الجيش الرافض لخلافته حال ذيوع أخبار بيعته، ومناداته بالعباس بن المأمون خليفة، وهو ما تحدثنا عنه في بداية البحث، كذب ادعاء نص المأمون عليه. غير أن ما وردنا من محاولات المعتصم تأكيد ذلك يثبت أهمية المسألة لتشريع حكمه، وخاصة أمام الشيعة العباسية آنذاك.

١٠٧. وهو ما يمكن رصده ابتداءً من ألقاب الخلفاء العباسيين منذ المعتصم، إذ "لم يكن لهذه الألقاب طبيعة مهدوية واضحة" منبثقة عن خطاب الشيعة العباسية، بعكس من سبقه من الخلفاء، وهو ما أعطى انطباعاً "أن العباسيين نسوا أو تناسوا شعاراتهم الثورية القديمة، وتبنوا إشعارات جديدة، ...، ولعل هذا أحد الأسباب التي تفسر خيبة أمل الشيعة العباسية، وخاصة المتطرفين منهم". فاروق عمر، "ألقاب الخلفاء العباسيين ودلالتها الدينية–السياسية"، ضمن: **بحوث في التاريخ العباسي،** ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٧م، ص٢٢٤–٢٢٥.

١٠٨. وهو ما تمثل بعدم كتابة المعتصم، والواثق من بعده، "رسالة خميس" إلى الشيعة العباسية في خراسان. أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب،** ج٣، ص٣١٧–٣١٨، هامش (٧).

١٠٩. ابن حزم، **الخلفاء والولاة،** ص١٥٠.

١١٠. عبد العزيز الدوري، **العصر العباسي الأول،** ص١٧٨.

١١١. عبد العزيز الدوري، **دراسات (الواثق)،** ص١٤، ص٣٠–٣١.

١١٢. في ذات الوقت الذي بدأ المتوكل فيه التقرب إلى الفقهاء السنة والعامة. أنظر في تقرب المتوكل إليهم: عبد العزيز الدوري، **دراسات (المتوكل)،** ص٣٨–٤٠؛ فاروق عمر، **الفوضى العسكرية،** ص ٤١–٤٢.

١١٣. عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، **مناقب الترك،** تحقيق: علي أبو ملحم، ضمن: رسائل الجاحظ، ٣ج، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١، ص٤٧٥.

١١٤. الجاحظ، **مناقب الترك،** ص٤٨٥.

١١٥. **المسعودي، مروج الذهب،** ج٣، ص٢٦١.

الذي كان الشيعة العباسية يتوقون فيه إلى استعادة مكانتهم القديمة في الدولة، وامتيازاتهم السابقة، حتى قال متحدثهم "نحن أولى بالأثرة، وأولى بشرف المنزلة"(١١٦) من أتراك المعتصم الذين لم يكن يربطهم "بالخلفاء ولاء روحي او تفاهم عقلي" (١١٧). فأعلنوا دعمهم المطلق للمتوكل في خطواته التخلص منهم، وأبدوا استعدادهم الانخراط في مشروعه(١١٨)، فقال متحدثهم "نحن على وتيرة واحدة، ومنهاج غير مشترك، نُعْرَفُ بالشيعة، وندين بالطاعة، ونقتل فيها، أو نموت عليها"(١١٩)، و "لم نخلق إلا لقلب الدول، وطاعة الخلفاء، وتأييد السلطان"(١٢٠)، وقال الشاعر علي بن الجهم (قتل ٢٤٩هـ/٨٦٣م) في هذا الصدد(١٢١): [الخفيف]

نحن أشياعكم من آل خراسان أولو قوة وبأس شديد
نحن أبناءُ هذهِ الخِرق السودِ وأهل التشيع المحمود

عهد المتوكل الى الفتح بن خاقان (قتل ٢٤٧هـ/٨٦١م) مهمة الإشراف على حشد الشيعة العباسية (١٢٢) فبدأ يجتمع مع "جماعة من أبناء الدعوة، وشيوخاً من جلة الشيعة، وكهولاً من أبناء رجال الدولة"(١٢٣) لوضع خطة تمكينهم، والاتفاق على مجالات المهام التي ينشدها المتوكل منهم، وكان وقت الشروع في ذلك بيعة المتوكل لأبنائه بولاية العهد في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٥هـ/تموز ٨٥٠م، وهو ما يُظهر أن مرحلة الإعداد والحشد استغرقت قرابة ثلاث سنوات، فأصدر المتوكل "رسالة خميس" لتقرأ على الشيعة العباسية(١٢٤)، و "أخرج [رجال] الشيعة إلى الآفاق ليأخذوا البيعة" لأبنائه بولاية العهد(١٢٥)، في ولايات الدولة ومدنها(١٢٦). وكانت هذه الخطوة إيذاناً ببدء الشروع في استعادة الشيعة العباسية لدورها في الدولة ومؤسساتها، وامتدت استعانة المتوكل برجالات الشيعة

١١٦. الجاحظ، **مناقب الترك**، ص٤٨٢.
١١٧. عبد العزيز الدوري، **العصر العباسي الأول**، ص ١٧٨.
١١٨. ينقل لنا الجاحظ وصف الشيعة العباسية مؤسس الدعوة العباسية وإمامها الأول محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بـ "**إمام الأئمة، وأبو الخلائف العشرة**". (**مناقب الترك**، ص٤٨٠). مما يعني توجيه خطابهم الذي وصلنا في (مناقب الترك) إلى المتوكل تحديداً، إذ كان هو العاشر من خلفاء الدولة العباسية منذ تأسيسها سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م.
١١٩. الجاحظ، **مناقب الترك**، ص٤٧٩.
١٢٠. **المصدر نفسه**، ص٤٨١.
١٢١. الأصفهاني، **الأغاني**، ج٢٣، ص ١٧٣.
١٢٢. وهو ما يستشف من قول الجاحظ مخاطباً الفتح: "قد أعجبني ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك، والمحاماة لتدبير خليفتك، ...، بنفسك بدأت في تعظيم إمامك، والحفظ لمناقب أنصار خليفتك، وإياها حطت بحياطتك لأشياعه". **مناقب الترك**، ص٤٧٣–٤٧٥.
١٢٣. **المصدر نفسه**، ص٤٧٥.
١٢٤. أنظرها عند أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٤، ص١٥٢–١٥٣.
١٢٥. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٨، ص٣٧٦٢ (عن الصولي).
١٢٦. قال البسوي: "وقدم الشيعي من طريق البصرة، يوم الأربعاء، فبويع لهم" في مدينة مكة. يعقوب بن سفيان البسوي (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)، **المعرفة** والتاريخ، ٤ج، تحقيق: أكرم العمري، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ، ج١، ص٢١٠.

العباسية إلى أواخر عهده، إذ ذكر الطبري أنه أوكل "رجلاً من الشيعة" العباسية اسمه "نصر بن الأزهر" ملف فداء أسرى المسلمين لدى الدولة البيزنطية بين عامي ٢٤١-٢٤٦هـ/ ٨٥٥-٨٦٠م[١٢٧].

كان تنامي دور رجال الشيعة العباسية في عهد المتوكل يستهدف تحقيق غايتين أساسيتين، أولهما: الدفاع العقائدي عن الخلافة العباسية وأسس شرعيتها أمام خصومها من الفرق الأخرى، خاصة الفرقة الزيدية العلوية، التي استفحل نشاطها الدعوي والثوري منذ عهد المعتصم[١٢٨] وغدت بنشاطها هذا مصدر قلق جدي وتهديد للخلافة العباسية[١٢٩]، فنشط متكلمو الشيعة العباسية منافحين عنها فكرياً وعقائدياً وسياسياً، وكان أبرز "رؤساء المتكلمين" من الشيعة العباسية إبراهيم بن السندي، الذي أطنب الجاحظ في وصفه وتقريظه، حتى عدّه: "رجلاً لا نظير له" بثقافته العالية وبلاغته القوية وفصاحته التي سخرها للدفاع عن الخلافة العباسية[١٣٠]، إذ "كان عالماً بالدولة، شديد الحب لأبناء الدعوة. وكان يحوط مواليه ويحفظ أيامهم، ويدعو الناس إلى طاعتهم، ويدرسهم مناقبهم. وكان فخم المعاني فخم الألفاظ، لو قلتُ: لسانه كان أرد على هذا المُلك من عشرة آلاف سيف شهير وسنان طرير لكان ذلك قولاً ومذهباً"[١٣١].

ونشط متكلمو الشيعة العباسية في عهد المتوكل بتأليف المصنفات التي تدافع عن الخلافة العباسية، والأسس العقائدية والفكرية التي قامت عليها، ونشروها حتى أصبحت "متداولة في_أيدي أهلها ومنتحليها".[١٣٢] وهو ما كان يحظى بدعم المتوكل ورعايته، حتى أن الجاحظ المعتزلي الفكر تقرب إليه بتصنيف كتابه "إمامة ولد العباس، يحتج فيه لهذا المذهب و، ...، **استقصى الحِجاج للراوندية، وهم شيعة ولد العباس**"[١٣٣] مشاركاً بذلك الشعراء الذين باتوا يتقربون بدورهم للمتوكل بالتأكيد على طرح الشيعة العباسية في أشعارهم[١٣٤].

---

١٢٧. **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٠٢، ٢١٩.

١٢٨. انظر في نشاط الزيدية الدعوي والثوري خلال هذه الحقبة: علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م)، **مقاتل الطالبيين**، تحقيق: السيد احمد صقر، ط٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٤٦٥ وما بعدها. و قال ابن خلدون في هذا الصدد: "**كان أكثر دعاة العلوية الخارجين بالعراق أيام المعتصم وما بعده أكثرهم من الزيدية**". عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمّان، د.ت، ص٧٦٧.

١٢٩.وهو ما يفسر لنا الموقف المتشدد للمتوكل تجاه التشيع العلوي ورموزه بمختلف أطيافه. أنظر في ذلك: عبد العزيز الدوري، **دراسات (المتوكل)**، ص٣٨.

١٣٠.الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٣٣٥.

١٣١. الجاحظ، **مناقب الترك**، ص٥١٣.

١٣٢. المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص٢٦١.

١٣٣. **المصدر نفسه**، ج٣، ص٢٦١. **وقد أبدى المسعودي استهجانه من صنيع الجاحظ هذا "لأنه لم يكن مذهبه، ولا كان يعتقده، ولكن فعل ذلك تماجناً وتطرباً"!**

١٣٤. أنظر مثلاً: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص ٢٣١؛الأصفهاني، **الأغاني**، ج٢٣، ص١٦٨ وما بعدها؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص ٣٠٤.

وكانت غاية المتوكل الثانية من الشيعة العباسية استخدامهم لضرب الأتراك والتخلص منهم، معتمداً لتحقيق ذلك على "أبناء الشيعة" أو "الأبناء" اختصاراً(١٣٥)، ملوحاً لهم، بحذر، استعادة ما فقدوه من منزلة ومكانة في الدولة لصالح الأتراك(١٣٦). وقد أبدى الأبناء تحمساً لمساندة المتوكل في تحقيق مبتغاه، وقطف ثمرته، فقال خطيبهم: **نحن "تربية الخلفاء، ...**، ونحن أجنحة خلفائنا، فأخذنا بآثارهم، وإحتذينا على مِثالهم، فلسنا نعرف سواهم، ولا نُعرف بغيرهم، **ولا يطمع فينا أحد قط من خُطاب مُلكهم، وممن يترشح للاعتراض عليهم**"(١٣٧). وإتخذ استخدام المتوكل للأبناء مسارين متوازيين للوصول إلى غايته المنشودة، أولهما: تمكينهم في مؤسسات الدولة وأجهزتها الأمنية، بدءاً من الوزارة التي أسندها سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان (ت ٢٦٣هـ/٨٧٦م) (١٣٨)، مولى الأزد(١٣٩)، وهو سليل أسرة خراسانية ذات أصول عراقية(١٤٠)، خدم أفرادها الدولة العباسية، كوالده يحيى بن خاقان الذي عمل في دواوين الدولة منذ أيام المأمون(١٤١)، وولاه المتوكل ديوان الخراج عام ٢٣٣هـ/٨٤٧م(١٤٢). استكتب المتوكل عبيد الله بن يحيى عام ٢٣٥هـ/٨٥٠م نظراً لتقاربه معه في السن(١٤٣)، ولما لمس منه عدم مهابة للأتراك، أو السماح لهم بالتدخل في عمله(١٤٤)،

---

١٣٥. مصطلح عباسي أطلق على العرب والعجم ممن ولد في مدينة بغداد من نسل شيعة العباسيين الخراسانية، اعتقدوا الولاء التام للخلفاء العباسيين لإيمانهم بالطروحات السياسية للشيعة العباسية. الجاحظ، **مناقب الترك**، ص٤٨٥-٤٨٦. وانظر أيضا: فاروق عمر، الفوضى العسكرية، ص٢٨-٢٩.

١٣٦. وهو ما صرح به الخليفة المستعين علناً أمام القادة الأبناء في بغداد، حاضاً إياهم على مساندته ضد المعتز المدعوم من الأتراك في سامراء، إذ قال لهم: "والله يا معشر القواد لئن قاتلت عن نفسي وسلطاني **ما أقاتل إلا عن دولتكم وعامتكم**، وأن **يرد الله إليكم أموركم قبل مجيء الأتراك وأشباههم**، فقد يجب عليكم المناصحة والجهد في قتال هؤلاء الفسقة". الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٣٣٤.

١٣٧. الجاحظ، **مناقب الترك**، ص٤٨٦.

١٣٨. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٨٥.

١٣٩. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٢؛ الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٢؛ محمد بن محمود ابن النجار (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، **ذيل تاريخ بغداد**، ٥ج، تحقيق: مصطفى عطا، ضمن: ذيول تاريخ بغداد (ج١٦-ج٢٠)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١٧، ص١١٠.

١٤٠. **روى الصولي عن محمد بن صالح النطاح** (ت ٢٥٢هـ/٨٦٦م): أن "آل خاقان ناقلة إلى خراسان من المذار، وإلى البصرة ينسبون". (ابن النجار، **ذيل تاريخ بغداد**، ج١٧، ص١١٠). ووصف الطبري يحيى بن خاقان، والد عبيدالله، بـ "الخراساني، مولى الأزد". (**تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٢). ولم يكن اسم خاقان دلالة أصول تركية للعائلة، وإنما كان لقباً أطلق على جد الأسرة، إذ "**ذكر عبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر**: أن اسم خاقان: النضر بن موسى بن مسلم بن صبيح، ...، وإنما لقب بخاقان لأنه كان معجباً بالغلمان الأتراك، فقال بعض أهل خراسان وقد رآه راكباً [محاطاً بغلمانه الأتراك]: إنما أنت خاقان ملك الترك. فبقيت عليه". ابن النجار، **ذيل تاريخ بغداد**، ج١٧، ص١٠٩-١١٠.

١٤١. التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، ج٢، ص١٢٥؛ ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، ج٩، ص٣٠٢.

١٤٢. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٦٢.

١٤٣. المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ/٩٤٤م)، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، ٨ج، تحقيق: عبود الشانجي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٨، ص١٢-١٣؛ ابن النجار، **ذيل تاريخ بغداد**، ج١٧، ص١١٠. وكان المتوكل يكبر عبيدالله بن يحيى سناً بعامين فقط، إذ ولد المتوكل عام ٢٠٧هـ/٨٢٢م. (الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٧، ص١٧٦؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٥، ص٣١). في حين ولد عبيدالله عام ٢٠٩هـ/٨٢٤م. الشابشتي، **الديارات**، ص١١٢.

عينه وزيراً عام ٢٣٦هـ/٨٥١م[١٤٥]، "ورفعه وأعلى مرتبته ومحلّه"[١٤٦]، وبلغ من منزلته عند المتوكل[١٤٧] أن "أمره أن يكتب: مولى أمير المؤمنين" بدلاً من ولائه في الأزد[١٤٨]، وكتب له "كتاباً بنسبته إلى ولائه، مشهورة حاله، وجعل ذلك على وجه الرفع منه والتنويه به"[١٤٩]. وعهد المتوكل إلى وزيره عبيدالله بن يحيى، إضافة إلى تعيين رؤساء دواوين الدولة المركزية في العاصمة سامراء[١٥٠]، تعيين "عمال الخراج والضياع والبريد والمعاون والقضاة في جميع" ولايات الدولة[١٥١].

وفي السياق ذاته عين المتوكل الفتح بن خاقان عام ٢٣٥هـ/٨٥٠م صاحباً للبريد (مديراً للمخابرات) في العاصمة سامراء[١٥٢]، وأوكل قيادة الشرطة إلى أفراد من الأسرة الطاهرية[١٥٣]، وقلد قيادة الحرس لاسحق بن يحيى بن معاذ ثم من بعده لرجاء بن أيوب الحضاري[١٥٤]، وولى الحجابة إبراهيم بن الحسن بن سهل حتى وفاته عام ٢٤٤هـ/٨٥٨م فأسندها إلى الحسين بن إسماعيل الطاهري[١٥٥].

وكان المجال العسكري المسار الثاني الذي أراد المتوكل استخدام الأبناء فيه[١٥٦]، إذ أضمر تأسيس قوة عسكرية جديدة في العاصمة سامراء، عمادها الأبناء، للاستعانة بهم في ضرب الأتراك والتخلص منهم، قال المسعودي: "جفا [المتوكل] الموالي من الأتراك وأطرحهم، وحط مراتبهم، وعمل على الاستبداد بهم والاستظهار عليهم، وضم إلى وزيره عبيدالله بن يحيى بن خاقان نحواً من اثني عشر ألفاً، ...، وجعل يجيل الآراء في استئصالهم".[١٥٧]

كانت نقطة انطلاق المتوكل لتحقيق غايته وتشريع خطوته هذه المرسوم الذي أصدره ببيعة أبنائه الثلاثة بولاية العهد، إذ كان نص المتوكل فيه على **تبعية "من ضَمَّهُ، ويَضُمُّهُ أميرُ المؤمنين"** إلى

١٤٤. التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ج٨، ص١٤-١٥.
١٤٥. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٨٥.
١٤٦. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٢.
١٤٧. انظر كتاب تقريظ الفتح بن خاقان له عند: إبراهيم بن علي الحصري (ت٤٥٣هـ/١٠٦٠م)، **زهر الآداب**، ٤ج، تحقيق: زكي مبارك، ط٤، دار الجيل، بيروت، د.ت.، ج٢، ص٤٣٦.
١٤٨. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٢.
١٤٩. هلال بن المحسن الصابئ (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، **رسوم دار الخلافة**، تحقيق: ميخائيل عواد، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٢٣.
١٥٠. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢١٧.
١٥١. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٢.
١٥٢. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٨٤؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٢١.
١٥٣. ابن حبيب، **المحبر**، ص٣٧٦؛ اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٧.
١٥٤. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٧؛ ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٨، ص٣٦٢١.
١٥٥. ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٦، ص٣٨٤.
١٥٦. امتاز التشكيل العسكري من الأبناء ببسالته في القتال، وقدرته على المواجهة العسكرية في كل الظروف، واستخدام كافة أنواع الأسلحة دوناً عن بقية فرق الجيش العباسي. الجاحظ، **مناقب الترك**، ص٤٨٥-٤٨٦؛ أحمد بن طاهر ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م)، **كتاب بغداد**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٨٠.
١٥٧. **التنبيه والإشراف**، ص٣٢٩.

وليي العهد المعتز والمؤيد من قوات عسكرية[١٥٨]، يشير صراحة إلى نيته زيادة عدد القوات العسكرية الملحقة بهما، وهو ما ظهر بصورة واضحة وجلية فيما يتعلق بالمعتز ولي العهد الثاني، إذ ألحق به المتوكل قوات عسكرية تم تجنيد أفرادها حديثاً، "اختلف في عدتهم، فقال بعضهم: كانوا زهاء عشرين ألف فارس، وقال آخرون: كان معه ثلاثة عشر ألف رجل، وقال آخرون: كان معه ثلاثة عشر ألف لجام، وقال المقللون: ما بين الخمسة آلاف إلى العشرة آلاف"[١٥٩]. وكان عماد هذه القوة العسكرية الجديدة: الأبناء والعرب، إذ تكونت من "الأبناء، والعجم والأرمن، والزواقيل[١٦٠] والأعراب، والصعاليك، وغيرهم"[١٦١]. وهو ما يبدي لنا حذر المتوكل، رغم اعتماده على الأبناء، من تشكيل قوة عسكرية من مجموعة واحدة، تحسباً من تحولها إلى قوة يحسب حسابها لتوحدها وتآلفها، كالأتراك، لذا عمد إلى إشراك عناصر عربية لتحقيق التوازن في بنيتها العسكرية. وحرص المتوكل على عدم اختلاطهم بالأتراك، أو غيرهم من فرق الجيش الأخرى، تحسباً من تأثرهم بميولهم وأهوائهم، فأفردهم المتوكل عن قيادة الجيش بأن أناط قيادتهم بوزيره عبيدالله بن يحيى بن خاقان مباشرة[١٦٢]، لضمان استقلالية قراراتهم وتحركاتهم، فكانوا لا يتلقون أوامرهم وتعليماتهم إلا من عبيدالله بن يحيى شخصياً[١٦٣]، فأصبح بذلك "وزيراً أميراً"[١٦٤].

هذا ولم تذكر المصادر، التي بين أيدينا، استحداث فرق عسكرية لوليي العهد الآخرين: المنتصر

---

١٥٨. انظر المرسوم عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٩.

١٥٩. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٩. في حين قدرهم المسعودي باثني عشر ألف. **التنبيه والإشراف**، ص٣٢٩. وانظر أيضاً: مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٣.

١٦٠. **الزواقيل**: مصطلح عباسي أطلق على مجموعات معدمة وفقيرة من القبائل القيسيّة المتوطنة في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، وسبق أن استعان بهم الأمين في أثناء نزاعه مع أخيه المأمون. فاروق عمر، **الفوضى العسكرية**، ص٢٧-٢٨.

١٦١. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٣.

١٦٢. التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ج٨، ص١٦. **وانظر أيضاً**: المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص٣٢٩.

١٦٣. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٣.

١٦٤. التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ج٨، ص١٦. وإضافة إلى تشكيل فرقة الأبناء والعرب، بدأ المتوكل بشراء "الغلمان المماليك" لاستخدامهم في الجيش، حتى وصل عددهم عند قتله سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م إلى ٨ آلاف. (أحمد بن الرشيد بن الزبير (حياً ٤٦٣هـ/١٠٧١م)، **الذخائر والتحف**، تحقيق: محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٥٩م، ص٢١٨). وعرفوا باسم "غلمان المتوكل" تميزاً لهم عن غيرهم، ويتضح أن ولائهم كان حكراً على المعتز، غير أن استعدادهم القتالي لم يكتمل، على ما يبدو، إلا بعد مقتل المتوكل، إذ برزوا مناصرين للمعتز أثناء حربه مع المستعين، ودفعوا باتجاه قتل المستعين بعد خلعه عام ٢٥٢هـ/٨٦٦م، تخوفاً على المعتز منه. (عبدالله بن محمد البلوي (ت٢٧٠هـ/٨٨٣م)، **سيرة أحمد بن طولون**، تحقيق: محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص٤٠). ويبدو أن قيادتهم والإشراف على تدريبهم العسكري أنيط بعبيد الله بن يحيى بن خاقان، وهو ما كان السبب في توليته وزارة الخليفة المعتمد بن المتوكل عند اعتلائه الخلافة عام ٢٥٦هـ/٨٧٠م، إذ كان التبرير الذي قدم لاستيزاره الحاجة الماسة إلى شخصية تحظى باحترام الجيش وولائه، وهو ما يتمتع به عبيدالله، إذ كان "**قد رأس الجماعة واصطنعهم، وهو لجميع الموالي كالوالد، كلٌ يطيعه**". (ابن النجار، **ذيل تاريخ بغداد**، ج١٧، ص١١٢. **عن الصولي**). وهو الوصف الذي لا يمكن أن يصدق على أي من فرق الجيش العباسي، ذي الأغلبية التركية، إلا على "غلمان المتوكل" فقط، وهو ما يؤكد تعاظم دورهم وأهميتهم العسكرية منذ ذلك الوقت، ولعله أحد أسباب استقرار الخلافة منذ عهد المعتمد على الله.

والمؤيد[١٦٥]، أو حتى زيادة أعداد ما أُلحق بكل منهما من قوات عسكرية عند مبايعتهما بولاية العهد. في الوقت نفسه الذي تظهر فيه المصادر التاريخية، التي بين أيدينا، أن ما ألحق بولي العهد الأول المنتصر من قوات عسكرية كانت في جلها من الأتراك[١٦٦]، وأنها، علاوة على عدم زيادة أعدادها، بدأت تعاني من تناقص مواردها المالية، لصالح فرقة الأبناء والعرب الملحقة بالمعتز،[١٦٧] في سعي واضح لإضعافها. وهو ما يؤكد لنا أن المتوكل كان يرمي بذلك إلى تقوية ولي العهد الثاني المعتز أمام ولي العهد الأول المنتصر، في ذات الوقت الذي استهدف فيه إضعاف الأتراك، للتخلص منهم لاحقاً، وهو ما يعني التخلص من كليهما: المنتصر والأتراك حال نجاحه في إضعاف أحدهما أو القضاء عليه، وهو ما كان هدف إنشاء فرقة الأبناء والعرب الملحقة بولي العهد المعتز[١٦٨]، وهو ما اتضح في غير موقف، أولها تصريح هذه القوات بهدف إنشائها علانية عند بلوغهم أخبار قتل المتوكل ومبايعة المنتصر بالخلافة، إذ قالوا لقائدهم عبيدالله بن يحيى بن خاقان: "**إنما كنت تصطنعنا لهذا اليوم، فأمر بأمرك، وإذن لنا نميل ميلة فنقتل المنتصر ومن معه من الأتراك وغيرهم**"، إلا أن عبيدالله رفض منحهم الإذن بذلك خوفاً على حياة المعتز، إذ كان المنتصر قد بادر إلى اعتقاله فور قتل المتوكل[١٦٩]، تحسباً لأي تحرك لفرقة الأنباء والعرب. وهو ما صرح البحتري أيضاً في رثائه للمتوكل، إذ قال: [الطويل]

فما قَاتَلت عنه المَنوْنَ جنودُهُ ... ولا دَافَعت أملاكُهُ وذخائرُهُ
ولا نَصَرَ المعتَزَّ من كان يُرْتَجَى ... لهُ وعزيزُ القَوْمِ مِن عَزَّ ناصِرُهُ
ولو لعبيد الله عَوْن عليهم ... لضَاقت على وُرّادِ أمر مَصَادرُهْ[١٧٠]

وهو ما يستبين أيضاً في موقف المنتصر وأنصاره المتشدد، بعد اعتلائه الخلافة، من عبيدالله بن يحيى خاصة وآل خاقان عامة، إذ لم "يزل جماعة من أعداء عبيدالله بن يحيى يحرضون المنتصر

١٦٥. يجدر هنا الإشارة إلى ضعف ما انفرد به التنوخي من أن المتوكل ضم "إلى ابنيه [المعتز والمؤيد] بضعة عشر ألف رجل، وجعل تدبيرهم إلى عبيدالله" بن يحيى بن خاقان. (**نشوار المحاضرة**، ج٨، ص١٦). إذ أن تأكيد كل من: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٩؛ المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص٣٢٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٣. على إلحاق هذه القوات بالمعتز دون أخويه يجعل من المتعذر قبول ما انفرد به، بل أن وقوف هذه القوات، لاحقاً، إلى جانب المعتز تحديداً يؤكد ضعف رواية التنوخي.

١٦٦. قال قادة فرقة الأبناء والعرب لعبيد الله بن يحيى عند بلوغهم أخبار مقتل المتوكل: "إذن لنا أن نميل على القوم ميلة نقتل المنتصر، ومن معه من الأتراك، وغيرهم". الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٣.

١٦٧. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص٣٢٩.

١٦٨. **المصدر نفسه**، ص٣٢٩.

١٦٩. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٣.

١٧٠. الوليد بن عبيد البحتري (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، **ديوان البحتري**، ٥ج، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج٢، ص١٠٤٧-١٠٤٨.

على قتله، ويعرّفونه ميله إلى المعتز حتى همَّ بذلك"(١٧١)، غير أنه اكتفى بنفيه "وسائر آل خاقان إلى بغداد"(١٧٢)، ثم عاد ونفى عبيدالله إلى جزيرة أقريطش(١٧٣). ولما بويع المستعين بالخلافة في سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م رفض الأبناء بيعته، ونادوا بالمعتز خليفة، "وجرى بين الأتراك والأبناء منازعات حتى تحاربوا ثلاثة أيام [في العاصمة سامراء]، ثم ضعف أمر الأبناء" أمام الأتراك(١٧٤). ولعل مرد ضعف الأبناء أمام الأتراك عدم اكتمال جاهزيتهم القتالية والعددية، بسبب انقلاب المنتصر على والده وقتله سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م.

دور البيعة في مقتل المتوكل

تعد سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م سنة فاصلة في مسيرة مشروع المتوكل برمته، إذا شرع فيها، وقد اعتقد

١٧١. ابن النجار، **ذيل تاريخ بغداد،** ج١٧، ص١١١-١١٢ **(عن الصولي).**

١٧٢. ابن العمراني، **الإنباء،** ص١٢١. **كان آل خاقان أركان مشروع المتوكل،** فعلاوة على دور عبيدالله بن يحيى بن خاقان ودوره الإداري والعسكري، كان المعتز في حجره، (المسعودي، **التنبيه والإشراف،** ص٣٢٩). وإليه كتابته أي إدارة أعماله وولاياته. (الطبري، **تاريخ الأمم،** ج٩، ص٢١٧، التنوخي، **نشوار المحاضرة،** ج٨، ص١٥). وكان يحيى بن خاقان (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، والد عبيد الله، قد تولى ديوان الخراج للمتوكل منذ سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م. (الطبري، **تاريخ الأمم،** ج٩، ص١٦٢). وعهد إليه المتوكل بملف التقارب مع الإمام أحمد بن حنبل، والإشراف على تدريس الإمام أحمد لابنه المعتز. (صالح بن أحمد بن حنبل (ت ٢٦٥هـ/٨٧٨م)، **سيرة الإمام أحمد بن حنبل،** تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، دار السلف، الرياض، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٩٦-٩٧). سعياً لتقوية أواصر العلاقات بين المعتز وفقهاء أهل السنة. أما الفتح بن خاقان (قتل ٢٤٧هـ/٨٦١م)، عم عبيدالله الأول، (الذهبي، **تاريخ الإسلام،** ج٦، ص ٣٦٧). فقد كان محل ثقة المتوكل و "أكبر أمرائه وأفضلهم"، (ابن طباطبا، **الفخري،** ص٢٣٧). وعهد إليه المتوكل، كما أسلفنا، مهمة حشد الشيعة العباسيّة، وهو ما كان يصب في مصلحة المعتز ولي العهد الثاني، لذا كانت علاقته به متينة، (المسعودي، **مروج الذهب،** ج٤، ص١٣٣)، حتى أن المعتز تزوج ابنته فاطمة (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م). (علي بن أنجب ابن الساعي (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، **نساء الخلفاء،** تحقيق: مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص١٠٠). ومزاحم بن خاقان (ت٢٥٤هـ/٨٦٨م)، عم عبيدالله الثاني، كان أحد القادة في الجيش العباسي، (الطبري، **تاريخ الأمم،** ج٩، ص٢٤١). ولعله كان خليفة ابن أخيه عبيدالله بن يحيى بن خاقان على فرقة الأبناء والعرب الموالية للمعتز، ولهذا قربه المعتز بعد اعتلائه الخلافة، وبعثه على رأس قوة عسكرية لقمع التمردات في مصر في عام ٢٥٢هـ/٨٦٦م، ثم ولاه ولايتها عام ٢٥٣هـ/٨٦٧م، واستمر والياً عليها حتى توفي في ٥ محرم سنة ٢٥٤هـ/٥ كانون الثاني ٨٦٨م، فخلفه عليها ابنه أحمد حتى توفي بدوره في ٩ ربيع الآخر ٢٥٤هـ/٨ أذار ٨٦٨م. (الكندي، **الولاة والقضاة،** ص١٥٧-١٥٩). وعبدالرحمن بن خاقان، عم عبيدالله الثالث، كان والياً للمتوكل على البصرة، واستدعاه على عجل إلى العاصمة سامراء بعد وفاة أخيه يحيى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م، (علي بن محمد التوحيدي (ت٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، **البصائر والذخائر،** ١٠ج، تحقيق: وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٢، ص ٦٢). ويبدو أنه تولى ما كان يتولاه أخوه يحيى. كما تولى ابنه يحيى بن عبدالرحمن "توقيع ديوان العامة" لابن عمه الوزير عبيدالله بن يحيى. الطبري، **تاريخ الأمم،** ج٩، ص٢١٧.

١٧٣. ابن النجار، **ذيل تاريخ بغداد،** ج١٧، ص١١٢. وأقريطش هي جزيرة كريت الحالية. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان،** ج١، ص ٢٣٦.

١٧٤. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي،** ج٢، ص٤٥٩. **وانظر أيضاً:** الطبري، **تاريخ الأمم،** ج٩، ص٢٥٧؛ ابن الجوزي، **المنتظم،** ج٧، ص١٩. ويذكر اليعقوبي أن الخليفة المهتدي (٢٥٥-٢٥٦هـ/ ٨٦٩-٨٧٠م) حاول استغلال عداء الأبناء للأتراك في القضاء عليهم، أو كبح جماحهم، إلا أن الأتراك تفطنوا لذلك فعاجلوه بالخلع. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي،** ج٢، ص٤٧٣.

اكتمال مرحلة الأعداد والتمكين، إشهار غايته الحقيقية من بيعة أبنائه بولاية العهد، عندما عمد إلى تفعيل ما نص عليه في مرسوم بيعتهم بولاية العهد من إلزام ولي العهد الأول المنتصر عند توليه الخلافة عدم عزل أخويه المعتز والمؤيد عن ولاياتهما التي أفردها المتوكل لكل منهما، وأن "**لا ينقصهما ولا واحداً منهما شيئاً من، ....، الأعمال التي جعلها أمير المؤمنين، ويجعلها إلى كل واحد منهما**"(١٧٥)، مما يشير بوضوح إلى عزمه إضافة ولايات أو مسؤوليات جديدة إليهما. غير أن هذا العزم لم يُفَعَّل إلا لصاح المعتز تحديداً، عندما أقدم المتوكل في سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م على توليته "خزن بيوت الأموال في جميع الآفاق ودور الضرب [فيها]. وأمره أن يكتب اسمه على الدراهم"(١٧٦). بعد أن كان المتوكل قد حدد في مرسوم ولاية العهد لأبنائه في شهر ذي الحجة ٢٣٥هـ/تموز ٨٥٠م مجالات سلطة كل واحد منهم في ولاياته بحيث شملت "الصلاة، والمعاون والقضاء والمظالم، والخراج والضياع، والغنيمة والصدقات، وغير ذلك من حقوق أعمالهما ، وما في عمل كل واحد منهما من: البريد، والطرز، وبيوت الأموال، والمعاون، ودور الضرب"(١٧٧). وهو ما يؤذن ببدء شروع المتوكل في إقصاء المنتصر عن ولاية العهد الأولى وتقديم المعتز إليها، وهو ما أفصح عنه المتوكل بصورة جلية في الامتياز الذي منحه للمعتز، دوناً عن أخويه، "بضرب اسمه على الدراهم"(١٧٨)، مشهراً بذلك نيته وعزمه تقديم المعتز على المنتصر في ولاية العهد الأولى، محتذياً في ذلك خطوات جده المنصور وما سنّه في هذا الصدد(١٧٩).

كما كان هذا القرار الخطوة الأولى بتقليص مجالات سلطة المنتصر في ولاياته، خاصة أنه بلغ من السن في سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م: ١٨ عاماً، مما يؤهله لمباشرتها بنفسه دوناً عن أخويه الآخرين. وكانت الخطوة الثانية التي تلتها منح المتوكل وزيره عبيدالله بن يحيى بن خاقان صلاحية تعيين "عمال الخراج والضياع، والبريد، والمعاون والقضاة، في جميع الدنيا، ولم يكن لأحد معه عمل"(١٨٠)، وهو ما يعني عملياً سلب المنتصر جميع مجالات السلطة في ولاياته، بحيث أضحت ولايته عليها ولاية شرفية فحسب، في الوقت نفسه الذي غدت فيه سلطة المعتز، وعمره يوم ذاك ٨ سنوات، تتعاظم إدارياً وجغرافياً وتتسع، سواء عبر ما عهد إليه مباشرة، أو إلى الوزير عبيدالله بن يحيى، الذي كان يتولى إدارة ما عُهد للمعتز من ولايات(١٨١). ويلاحظ أن المتوكل نزع من المنتصر مجالات

١٧٥. انظر المرسوم عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٧-١٧٨.

١٧٦. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٦.

١٧٧. انظر مرسوم المتوكل عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٧-١٧٨.

١٧٨. **المصدر نفسه**، ج٩، ص١٧٦.

١٧٩. عمد المنصور إلى كتابة اسم ابنه محمد المهدي على السكة، مشهراً بذلك نيته إقصاء ابن أخيه عيسى بن موسى عن ولاية العهد ومبايعة المهدي بها. انظر في ذلك: عبدالعزيز الدوري، "الفكرة المهدية بين الدعوة العباسيّة والعصر العباسي الأول"، ضمن: **دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى إحسان عباس**، تحرير: وداد القاضي، الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٨١م، ص١٣١.

١٨٠. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٢.

١٨١. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢١٧؛ التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ج٨، ص١٥.

السلطة المالية في ولاياته جمعاً وخزناً وتفرقة، وهو ما كان يهدف من وراءه إضعاف موقفه عبر سلبه أحد عناصر قوته التي تجمع حوله المؤيدين والأنصار من جهة، وتتيح له التضييق على القادة الأتراك، الملحقين بالمنتصر، مالياً من جهة أخرى، من غير أن يمتلك المنتصر أي سلطة لمنع ذلك، وهو ما ظهر بصورة واضحة في الضياع التي أُقطعت للقائد التركي وصيف "بأصبهان والجبل"[١٨٢]، والتي كانت ضمن ولايات المنتصر التي عهد إليه المتوكل ولايتها عام ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م[١٨٣]، حتى انتزعها منه وأناط إدارتها بوزيره عبيدالله بن يحيى بن خاقان[١٨٤]، ليصدر المتوكل أمره بقبضها من وصيف وإقطاعها للفتح بن خاقان[١٨٥]، وهو ما يظهر لنا أن المتوكل زامن خطواته لإقصاء المنتصر وتقديم المعتز مع خطواته إضعاف الأتراك وصولاً إلى "استئصالهم".

تمثلت أولى خطوات المتوكل العملية ضد الأتراك بتهميشهم العلني، وتقليص مخصصاتهم المالية، ثم عمد إلى "حط مراتبهم"[١٨٦]، وتقديم الأبناء عليهم، الذي أعلنوا عدائهم وخصومتهم للأتراك. وهو ما يمكن لنا رصده في رسالة "مناقب الترك"، التي ألفها الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) بعد أن استشعر اتجاه خطاب قادة فرقة الأبناء ومتكلمي الشيعة العباسية لتهييج الخصومة العلنية للأتراك[١٨٧]، ودفعهم باتجاه بث "الفرقة والتحزيب" في الجيش[١٨٨]، فسعى في رسالته إلى تبيان عوامل الوحدة والإخاء والتجانس بين العناصر المكونة للجيش، وتغليبها على عوامل الاختلاف وطروحات الفرقة ومساعي الصدام، فقال: إن "كتابنا هذا إنما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم التي كانت مختلفة، ولنزيد الألفة إن كانت مؤتلفة، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم، ولتسلم صدورهم"[١٨٩]، وهو ما كان يتوافق مع خطاب الخلافة الرسمي المعلن بالحرص على ديمومة "الألفة والتقريب" بين عناصر الجيش، وتغليب عوامل وحدتهم واتفاق كلمتهم[١٩٠].

إلا أن هذا الخطاب الرسمي المعلن لم يكن ليخفي خطوات المتوكل العملية الهادفة لإضعاف الأتراك والتخلص منهم، أو ليُسَكِّنَ مخاوفهم من نتائجها المستقبلية على مصائرهم، مما أسهم في تزايد السخط وتعاظم الاستياء في صفوفهم، وهو ما رصده المتوكل وعمل على تفاديه وسعى لتجنب مخاطره، فأعلن في عام ٢٤٣هـ/٨٥٧م عزمه نقل العاصمة من سامراء الى مدينة دمشق، وقام بالانتقال إليها فعلاً في عام ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م، إلا أنه سرعان ما عاد الى سامراء في العام نفسه، بعد

١٨٢. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٢.
١٨٣. قال الطبري: "فكان مما ضم إلى ابنه محمد المنتصر .. وأصبهان ... وأمور الجبل والضياع المنسوبة إلى الجبال". **تاريخ الأمم**، ج٩، ص١٧٦.
١٨٤. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٢.
١٨٥. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٢.
١٨٦. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص٣٢٩.
١٨٧. **مناقب الترك**، ص٤٧٩.
١٨٨. **المصدر نفسه**، ص٤٧٧.
١٨٩. **المصدر نفسه**، ص٤٧٨.
١٩٠. **المصدر نفسه**، ص٤٧٧-٤٧٨.

أن أمضى في دمشق شهرين وبضعة أيام فقط[١٩١]. وهو ما قرأ به بعض المؤرخين المحدثين سعي للمتوكل إلى الاستعانة بالعرب في بلاد الشام ضد الأتراك، وبرروا عودته السريعة إلى العاصمة سامراء بخشيته من الأتراك الذين تحركوا في بلاد الشام وأشاعوا التهديدات المبطنة للخليفة لدفعه للتراجع عن مشروعه هذا، بعد أن استشعروا خطره المستقبلي عليهم[١٩٢]. غير أن هذه القراءة تفترض إهمال المتوكل، أو تغافله وتقاعسه، طيلة ١٢ عاماً قضاها في الخلافة حتى عام ٢٤٤هـ/٨٥٨م، بناء قوة في العراق تؤازره ضد الأتراك، أو تحقق له التوازن معهم، حتى يسارع، فجاءة ومن غير سابق إعداد أو تلميح، إلى بلاد الشام طالباً دعم العرب فيها ومؤازرتهم ضد الأتراك. وهو الأمر الذي بينت هذه الدراسة نقيضه، إذ كان المتوكل يُعد لمواجهة الأتراك والتخلص منهم منذ توليه الخلافة عام ٢٣٢هـ/٨٤٧م، وابتدأ باتخاذ الخطوات العملية لتحقيق ذلك منذ بيعة أبنائه بولاية العهد، والتي كان من أبرزها تشكيل فرقة عسكرية جديدة عمادها الأبناء والعرب، واغلبهم شاميون. مما يثبت أن المتوكل سعى للاستعانة بالعرب الشاميين منذ بداية حكمه لا في نهايته، وأنه عمد إلى تجنيدهم في العراق لا في الشام، مما يوحي أن جبهة الصدام المتوقع مع الأتراك كانت في العراق تحديداً لا في الشام، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن هذه القراءة تنظر إلى مسألة نقل العاصمة العباسية خارج العراق نظرة مبسطة لا تتوافق مع المسيرة التاريخية للخلافة العباسية، إذ أدت محاولة المأمون نقل العاصمة إلى مدينة مرو في خراسان، إثر مقتل الخليفة الأمين، إلى تأليب أفراد البيت العباسي، وسكان مدينة بغداد والعراق، حتى أنهم بايعوا عمه إبراهيم بن المهدي خليفة في مدينة بغداد رفضاً لخطوته هذه، ولم تهدأ الأمور إلا بعد أن عاد المأمون إلى بغداد صارفاً النظر عن نقل العاصمة عنها،[١٩٣] وهو ما يجعل مشروع المتوكل نقل العاصمة العباسية خارج العراق محفوفاً بالمخاطر على خلافته، لا من الأتراك فحسب[١٩٤]، بل ومن أفراد الأسرة العباسية وسكان العاصمة سامراء، ومدينة بغداد، ناهيك عن العراق ككل.

ولعله كان من الأنسب، تماشياً مع هذه القراءة، أن يعمد المتوكل إلى إعادة العاصمة إلى مدينة بغداد[١٩٥]، التي تضم أنصاره المفترضين من الشيعة العباسية، والأبناء، والفقهاء السنة، والعامة، ناهيك عن الأسرة الطاهرية، إلا أن المتوكل لم يقدم على هذه الخطوة[١٩٦]، مما يشي لنا أنه كان

---

١٩١. انظر في ذلك: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٠٩-٢١٠؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣١-٢٣٢؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٥٠٣، ٥١٧؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٢٩٧-٢٩٨.

١٩٢. عبدالعزيز الدوري، **دراسات (المتوكل)**، ص٤٠-٤١. وانظر أيضاً: فاروق عمر، **الفوضى العسكرية**، ص٤٢.

١٩٣. انظر في ذلك: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٨، ص ٥٤٢ وما بعدها؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص١٧٩.

١٩٤. انظر في ذلك: اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٤٥٦؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص١٢٧-١٢٨.

١٩٥. وهو ما نفذه عملياً ابنه الموفق، وكرسه رسمياً حفيده الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م). **انظر في ذلك:** الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص ١١٥؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص ١٧٦.

١٩٦. ربما تحسب المتوكل ردة فعل الأتراك وقيامهم بمبايعة خليفة آخر في سامراء، وهو ما أقدم عليه القادة الأتراك عام ٢٥١هـ/٨٦٥م إثر التجاء الخليفة المستعين إلى مدينة بغداد، وإعلانه العزم على اتخاذها عاصمة له، فرد الأتراك على

يهدف من رحلته إلى دمشق تهيئة الأذهان لفكرة نقل العاصمة من سامراء، وتوجيه ردود الفعل إلى المطالبة بديمومة احتضان العراق للعاصمة العباسية فحسب(١٩٧)، بعد أن غدا هذا المشروع في نظره خطوة ملحة إثر استشعاره خطورة تنامي مشاعر السخط والعداء في صفوف الأتراك إزاء خطواته المتلاحقة للتخلص منهم، وضرورة الحاجة لعاصمة جديدة ينفرد بها بأنصاره من الشيعة العباسية والأبناء، مما يكفل له أمنه الشخصي، ويخفف "ضغط الترك عليه"(١٩٨)، ويمنحه حرية أكبر في الشروع بالخطوات النهائية لاستكمال ما بدأ به من إقصاء المنتصر وتقديم المعتز وضرب الأتراك، فأعلن في عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م البدء ببناء عاصمة جديدة بالقرب من مدينة سامراء، دعاها بالجعفرية/المتوكلية،(١٩٩) ونقل إليها دواوين الدولة ومؤسساتها(٢٠٠).

كان إعلان المتوكل في عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م الشروع ببناء عاصمة جديدة يحمل في طياته دلالة المضي في تنفيذ غايته الحقيقية من بيعة أبنائه بولاية العهد، والتي بدأت ملامحها العامة تتجلى للمنتصر وقادة الأتراك خاصة، وهو ما دفعهما لبدء التنسيق المشترك للوقوف أمام خطوات المتوكل بما يحقق مصلحة الطرفين، ولعل المحاولة الفاشلة لاغتيال ولي العهد الثاني المعتز بإحراق قصره في العام نفسه ٢٤٥هـ/٨٥٩م،(٢٠١) تمثل أولى ثمرات هذا التنسيق، في خطوة هدفت إلى تخليص المنتصر من منافسه المعتز، وتبعث تهديداً واضحاً للمتوكل وتحدياً صريحاً لخطواته التخلص من الأتراك. إلا أن ذلك لم يثنِ المتوكل عن السعي لتحقيق غايته، بل دفعته للإسراع في تنفيذها لاستشعاره التهديد الحقيقي على شخصه وولي عهده الأثير لديه، وأكد بانتقاله رسمياً للإقامة في عاصمته الجديدة "الجعفرية" مطلع عام ٢٤٦هـ/٨٦٠م(٢٠٢)، مضيه في تنفيذ الوصول إلى غايته، وتمثلت أولى خطواته في ذلك الطلب رسمياً من المنتصر التنحي عن ولاية العهد الأولى لتقديم أخيه المعتز إليها، إلا أن المنتصر رفض طلب والده(٢٠٣)، محتمياً ببيعته المتقدمة وأيمانها التي كانت تمنحه تحصيناً شرعياً ضد خطوات والده عزله عن ولاية العهد، إلا بموافقته هو شخصياً، وإعلانه

خطوته هذه بمبايعة المعتز بن المتوكل خليفة في سامراء. انظر: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٨٢ وما بعدها؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٤٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣١٩ وما بعدها.

١٩٧. وهو ما عبر عنه الشاعر يزيد بن محمد المهلبي: [الوافر]

أظ أظن الشام تشمَت بالعراق   إذا اذ عزم الإمام علي انطلاقِ
فإن تدع العراق وساكنيها   فقد تبلى المليحة بالطلاقِ

الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٠٩؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص١٢٦.

١٩٨. عبدالعزيز الدوري، **دراسات (المتوكل)**، ص٤١.

١٩٩. انظر عنها: اليعقوبي، **البلدان**، ص٦٧-٦٨؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ١٤٣؛ ج ٥، ص ٥٣.

٢٠٠. اليعقوبي، **البلدان**، ص٦٧-٦٨؛ الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢١٢؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٢؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٥٢٣؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ١٤٣.

٢٠١. انظر في ذلك: البحتري، **ديوان البحتري**، ج٤، ص٢٢٥٦-٢٢٥٧.

٢٠٢. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢١٩؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص٥٣٣؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٠.

٢٠٣. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٥، ص١٠٩٩.

ذلك رسمياً للأمة لتحليلها من بيعتها المتقدمة وأيمانها[٢٠٤]. ومعتمداً في رفضه على مساندة الأتراك له أمام والده. فشرع المتوكل في حملة منظمة للتنكيل بالمنتصر وإهانته علانية[٢٠٥]، بغية اغتياله معنوياً لدفعه للرضوخ لمطلبه التنازل عن ولاية العهد الأولى لأخيه المعتز، وهو ما أشعره بمهانة جسيمة وإذلال كبير دفعه للتصلب في موقفه الرافض التنازل عن ولاية العهد، وأسهمت في تقبله النفسي للتآمر على والده[٢٠٦]. في ذات الوقت الذي استهدف فيه المتوكل أنصار المنتصر[٢٠٧] الأتراك فـ "حط مراتبهم"[٢٠٨] القيادية في الجيش، بغية التخلص منهم وإضعاف فاعلية مساندتهم للمنتصر، مما أسهم بتمتين العلاقة بينهما، ودفع باتجاه تآمرهما على المتوكل ذاته، كسبيل أوحد لنجاة الطرفين من خطوات المتوكل إقصائهما والتخلص منهما[٢٠٩]. وهو ما بدا نظرياً يصب في

---

٢٠٤. **رغم أن الخليفة كان يختار ولي العهد، إلا أنه كان عاجزاً عن عزله، حتى وإن كان ابنه، إلا بموافقة ولي العهد رسمياً على ذلك، وهو ما اتضح في تاريخ الخلافة العباسية في حادثتين، حسبما اطلع عليه الباحث،** كانت الأولى في عام ٢٧٨هـ/٨٩١م عند طلب الأمير أحمد بن الموفق، الخليفة المعتضد لاحقاً، من عمه الخليفة المعتمد خلع ابنه جعفر المفوض عن ولاية العهد لمبايعته بها، فأبدى الخليفة، المغلوب على أمره، عدم ممانعته شريطة قبول جعفر المفوض بذلك، والذي وافق بدوره، فعقد الخليفة مجلساً عاماً حضره "الناس، وشهدوا على خلع جعفر من ولاية العهد، وتولية المعتضد، وكتب بذلك كتب إلى النواحي، ...، ووقع المعتمد في الكتاب: أقر عبدالله أحمد الإمام المعتمد على الله أمير المؤمنين بجميع ما في هذا الكتاب، وكتب بخطه. **وأقر جعفر بن أمير المؤمنين المعتمد على الله بجميع ما في هذا الكتاب، وكتب بخطه**". (ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٢، ص٨١٣-٨١٤. عن الصولي). **وكانت الحادثة الثانية** في سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م عندما قرر الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) عزل ولده الأكبر أبو نصر محمد عن ولاية العهد ومبايعة "أخيه الأصغر أبي الحسن، ولقبه الملك المعظم، **فأظهر في دار وزير الخليفة**، ...، **ورقة بخط ولي العهد أبي نصر إلى الخليفة تتضمن العجز عن القيام بولاية العهد، ويطلب الإقالة، وشهد عدلان أن الورقة بخطه، وعمل بذلك محضر شهد فيه: الفقهاء، والقضاة، والفقهاء [الشهود] العدول، فقطعت الخطبة والسكة باسمه في سائر الآفاق**". محمد بن سالم بن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ٥ج، تحقيق: حسنين محمد ربيع، القاهرة، د.ت، ج٣، ص١٦٨-١٦٩. وانظر أيضاً: أبو شامة عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، **الذيل على الروضتين**، تحقيق: عزت العطار، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ص٥٠-٥١.

٢٠٥. انظر في ذلك: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٥؛ المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص٣٢٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٦؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٢.

٢٠٦. وهو ما نلمسه فيما وصل إلينا من شعره، حيث قال: [الطويل]

متى ترفع الأيام من قد وَضَعْنَه ... وينقادُ لي دهرٌ عليَّ جَموحُ
أعلل نفسي بالرجاء وإنني ... لأغدو على ما ساءني وأروحُ

الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص٢٥٠؛ المرزباني، **معجم الشعراء**، ص٤٠٠؛ القفطي، **المحمدون**، ص١٧٨.
وقال أيضاً: [السريع]

الذل يأباه الفتى الحرّ ... ما لكريم معه صبر

المرزباني، **معجم الشعراء**، ص٤٠٠، القفطي، **المحمدون**، ص١٧٨.

٢٠٧. ابن الداية، **المكافأة**، ص٤٢.

٢٠٨. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص٣٢٩.

٢٠٩. رصد المسعودي حالة الاستقطاب وتكوين التحالفات آنذاك، فقال: "كان المنتصر يجتذب قلوب الأتراك، وكان أوتامش

مصلحة الطرفين؛ إذ يضمن المنتصر بذلك ما ارتآه حقاً له بتولي الخلافة بعد والده، دوناً عن بقية اخوته عامة والمعتز خاصة، نظراً لكونه الأكبر سناً بينهم، والأول في ترتيب ولاة العهد. في حين يتمكن الأتراك من التحرك ضد مشروع المتوكل الهادف، منذ توليه الخلافة، لـ "استئصالهم"(٢١٠)، تحت غطاء دعم ولي العهد المنتصر(٢١١)، الذي سيحمل عنهم المسؤولية(٢١٢)، ويكفل لهم النجاة بفعلتهم وعدم المحاسبة عليها(٢١٣)، ويضمن لهم الحفاظ على مكانتهم في الجيش، واستعادة ما خسروه من مناصب وامتيازات على يد المتوكل(٢١٤).

شهد النصف الثاني من عام ٢٤٧هـ/٨٦١م إمعان المتوكل في الضغط على المنتصر لدفعه للتنازل عن ولاية العهد الأولى، حتى أنه بات يعامل المعتز رسمياً كولي عهد أول، وهو ما ظهر من تقديمه له في المراسم على أخيه المنتصر(٢١٥)، إلا أن المنتصر، وقد ضمن انحياز الأتراك له

غلام الواثق مع المنتصر، فكان المتوكل يبغضه لذلك، وكان اوتامش يجتذب قلوب الأتراك إلى المنتصر، وعبيدالله بن [يحيى] بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين إلى المعتز، وكانا أوغرا قلب المتوكل على المنتصر! فكان المنتصر لا يُبعد المتوكل أحداً من الأتراك إلا إجتذبه، فاستمال قلوب الأتراك، وكثيراً من الفراغنة والأشروسية". **مروج الذهب**، ج٤، ص١٣٣.

٢١٠. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص٣٢٩.

٢١١. ذكر المسعودي أن قادة الأتراك خططوا لقتل المتوكل أثناء رحلته إلى دمشق عام ٢٤٤هـ/٨٥٨م، غير أنهم عجزوا عن تنفيذ مخططهم لولاء القائد التركي بُغا الكبير للمتوكل وعدم تجاوبه معهم. (**مروج الذهب**، ج٤، ص١٢٧–١٢٨). ورغم عدم تحققنا من هذا الخبر، إلا انه يشي لنا أن القادة الأتراك كانوا يبيتون النية للتحرك ضد المتوكل وسياساته ضدهم، غير أنهم استشعروا، على ما يبدو، الحاجة الى غطاء يمكنهم التحرك تحته، لينفي عنهم تهمة الانقلاب على الخليفة، وتعرضهم لخطر المسألة، وهو ما منحهم إياه ولي العهد المنتصر، إذ سيغدو تحركهم ضد المتوكل انخراطاً في النزاع الاسري العباسي على الخلافة لا غير.

٢١٢. حمَّل البحتري في رثائه للمتوكل ولي العهد المنتصر مسؤولية قتل المتوكل، إذ قال: [الطويل]

أكان ولي العهد أضمر غَدْرَةً فَمِن عجبٍ أن ولي العهد غَادرُهْ

ديوان البحتري، ج٢، ص١٠٤٨. وهو ما كان يعتقده الكثيرون إلا أنهم لم يجرؤوا على التصريح بذلك، وهو ما يثبته تعجب العالم اللغوي أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م) من جراءة البحتري هذه بقوله: "**صرح فيها تصريح من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب**". الحصري، **زهر الآداب**، ج١، ص٢٥٩.

٢١٣. وهو ما ظهر بصورة جلية عندما اجتمع القادة الأتراك لاختيار خليفة بعد المنتصر عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م، إذ "كرهوا أن يتولى الخلافة أحدٌ من ولد المتوكل، لقتلهم أباه، وخوفهم أن يغتالهم من يتولى الخلافة منهم". (الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٥٦؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٤٧؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص١٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣١١). وتذكر بعض المصادر ان الأتراك عمدوا الى قتل المنتصر في عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م تخوفاً من عواقب بدء اتجاهه الى تحميلهم مسؤولية مقتل والده. انظر في ذلك: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٥١–٢٥٣؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٢٦–٢٧؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣١٠.

٢١٤. غرس النعمة، **الهفوات النادرة**، ص٢٦٣.

٢١٥. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٢–٢٢٣؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٧، ص٨–٩. ولعل صنيع المتوكل هذا ما دفع بعض المؤرخين للتأكيد أن المتوكل "قدم المعتز على المنتصر". (محمد بن سلامة القضاعي (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، **عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف**، تحقيق: جميل المصري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٤٥٢؛ ابن ظافر، **الدول المنقطعة**، ج٢، ص٣٦٠). بل إن ابن أيبك ذهب الى ان المتوكل "أَخَّرَ المنتصر عن ولاية عهده وقدم

ومساندتهم إياه أمام والده، بدأ بدوره بتحدي مراسم الخلافة وبما يخص والده الخليفة بالذات(٢١٦)، مبدياً بذلك تصميمه على التمسك بما اعتقده حقاً له بولاية العهد الأولى، وتأكيده الرفض لمطلب والده التنازل عنها. وهو ما دفع المتوكل إلى التصعيد، وقرر توجيه الضربة الأخيرة التي تكلل سعيه منذ بيعة أبنائه بولاية العهد الأولى، فحدد يوم الخميس ٥ شوال ٢٤٧هـ/١٢ كانون أول ٨٦١م موعداً "يفتك [به] بالمنتصر، ويقتل وصيفاً وبغا [الصغير/الشرابي] وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم"(٢١٧)، غير أن قرار المتوكل وموعد تنفيذه تسرب إلى المنتصر والأتراك(٢١٨)، مما دفعهم للاتفاق على قتله قبل الموعد الذي حدده للفتك بهم.

وعلى الرغم من "أن امرأة من نساء الأتراك ألقت رقعة تخبر [فيها] ما عزم عليه القوم" من اغتيال المتوكل، إلا ان الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان وعمه الفتح بن خاقان استهانا بمضمونها، ولم يأخذا هذا التحذير على محمل الجد، أو دلالة الخطر "إذ هان عليهم أمر القوم، ووثقوا بأن ذلك لا يجسر عليه أحد ولا يقدر"(٢١٩)، ولعلهما كانا واثقين من أمن المتوكل في عاصمته الجديدة المحفوفة بأنصاره ومؤيديه من الشيعة العباسية وفرقة الأبناء والعرب، ومطمئنين إلى استحكام الإجراءات الأمنية الخاصة بالخليفة. وغاب عنهما أن مخطط اغتيال المتوكل اعتمد في نجاحه على اشتراك موسى بن بغا الكبير فيه، الذي كان المتوكل قد ولاه الحجابة نيابة عن والده بغا الكبير، والي الثغور الشامية منذ عام ٢٤٤هـ/٨٥٨م(٢٢٠)، نظراً لثقته المطلقة به، واعتقاده به الإخلاص التام والولاء المحض، إذ كان "موسى هذا ابن خالة المتوكل"(٢٢١)، إلا ان موسى أضمر الانحياز لإخوانه الأتراك، فأدخل المتآمرين لقتل الخليفة إلى قصره، وأسهم معهم في إغتياله ليلة الأربعاء ٤ شوال سنة ٢٤٧هـ/١١ كانون أول ٨٦١م. ثم بويع المنتصر بالخلافة(٢٢٢)، ليبادر فوراً إلى إلقاء القبض على

المعتز، وجَعلَ أمرَ المنتصر راجعاً للمعتز: إن شاء كان ولي عهده، وإن شاء لم يكن"! أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، ج ٥، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٢٤٣.

٢١٦. قال غرس النعمة: "أقبل المتوكل يوماً فقام الناس إليه من بعيد ولم يقم المنتصر بالله حتى قرب منه، فاغتاظ المتوكل، وجرى على لسانه: [الكامل]

هم سمنوا كلباً ليأكل بعضهم ولو عملوا بالحزم ما سمنوا الكلبا

فلم يبعد أن قتله المنتصر بعد ذلك". **الهفوات النادرة**، ص١٩.

٢١٧. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٥. وانظر أيضاً: مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٦؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص ٣٠٢.

٢١٨. الطبري، **تاريخ الأمم**، ح٩، ص٢٣٤-٢٣٥.

٢١٩. **المصدر نفسه**، ج٩، ص٢٢٨. ومن الجدير بالذكر ان الأتراك كانوا متخوفين بالفعل من الإقدام على قتل المتوكل، إلا أنهم حسموا أمرهم أخيراً. انظر: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٧.

٢٢٠. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢١٠؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص١٢٨-١٢٩.

٢٢١. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٦؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٢.

٢٢٢. انظر تفاصيل مقتل المتوكل عند: الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٥ وما بعدها؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص١٣٢ وما بعدها؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٦ وما بعدها؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٢.

أخويه وليي العهد المعتز والمؤيد، لضمان عدم تحرك القوات العسكرية التابعة لهما، وخاصة المعتز، ضد انقلابه(٢٢٣).

كان انقلاب المنتصر على والده المتوكل وقتله إياه سابقة خطيرة في تاريخ المسلمين(٢٢٤)، ودلالة حدة الصراع الأسري العباسي على منصب الخلافة، وانخراط الجيش فيه، مما مهد لسيطرة الأتراك على الدولة ومقدراتها سيطرة مباشرة طيلة الحقبة الممتدة بين عامي ٢٤٧-٢٥٦هـ/٨٦١-٨٧٠م(٢٢٥)، وهو ما كان نتيجة لبيعة المتوكل لأبنائه بولاية العهد، وانقلاباً على غايته منها.

النتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، والتي يمكن إجمالها فيما يأتي:

- دفعت معارضة قادة الجيش العباسي للخليفة المعتصم منذ يوم مبايعته بالخلافة الى اتجاهه للإكثار من الجند الأتراك في الجيش، وتولية قادتهم المناصب الإدارية والأمنية في الدولة، مضافة الى مناصبهم القيادية في الجيش، بهدف تحصين نفسه وخلافته، وهو ما سار عليه ابنه الخليفة الواثق من بعده، مما أدى الى استفحال نفوذهم في الدولة ومؤسساتها.
- رصد الخليفة المتوكل، منذ اعتلائه الخلافة، تعاظم نفوذ القادة الأتراك في الدولة الى الحد الذي شكل تحدياً جدياً لسلطته كخليفة، مما دفعه لوضع مخطط يهدف الى القضاء على نفوذهم في الدولة ومؤسساتها، وإقصائهم عن الجيش نهائياً، وهو ما ادخله بصراع طويل معهم شكل احد أسباب مقتله عام ٢٤٧هـ/٨٦١م.
- عمد الخليفة المتوكل الى بيعة ثلاثة من أبنائه بولاية العهد في عام ٢٣٥هـ/٨٥٠م بهدف تحصين خلافته من جهة، وضمان الخلافة في نسله، واقصاء غيرهم من أمراء بقية فروع الأسرة العباسية، من جهة أخرى، وهو ما دل على احتدام التنافس الأسري العباسي على منصب الخلافة. غير ان المتوكل نقل بخطوته هذه مستوى التنافس الى أسرته شخصياً، مما سيكون احد أسباب مقتله عام ٢٤٧هـ/٨٦١م.
- وظّف الخليفة المتوكل بيعة أبنائه بولاية العهد في ضرب نفوذ القادة الأتراك في الدولة والجيش، وهو ما ظهر بصورة واضحة بتعيين ولاة عهده ولاة على ولايات الدولة، وقيامه ببعث دور الشيعة العباسية العقائدي والإداري والعسكري في الدولة ومؤسساتها على حساب الأتراك وقادتهم، مما أسهم بتكتل الأتراك للتصدي لسياسة المتوكل ضدهم.
- أدى سعى الخليفة المتوكل لإقصاء ولي العهد الأول المنتصر بالله عن ولاية العهد الأولى وتقديم ولي العهد الثاني المعتز بالله إليها الى تبلور التحالف بين المنتصر والقادة الأتراك

---

٢٢٣. الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص٢٢٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص١٣٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص٣٠٣.

٢٢٤. قال ابن ظافر الأزدي: "هو أول من عدا على أبيه من بني العباس". **الدول المنقطعة**، ج٢، ص٣٦٢.

٢٢٥. انظر في ذلك: عبدالعزيز الدوري، **دراسات (فوضى الأتراك)**، ص٤٩ وما بعدها؛ فاروق عمر، **الفوضى العسكرية**، ص ٦٧ وما بعدها.

ضد المتوكل، وانتهائه الى اتفاقهم على قتله عام ٢٤٧هـ/٨٦١م كوسيلة وحيدة لوقف سياساته الهادفة الى إقصائهم عن مناصبهم ومكانتهم في الدولة، مما أدى الى فرض القادة الأتراك لهيمنتهم المباشرة على الخلافة العباسية ودولتها طيلة الحقبة ٢٤٧-٢٥٦هـ/٨٦١-٨٧٠م.

The 'Bay'ah' (Oath of Allegiance) of the Abbasid Caliph al-Mutawakkil Ala Allah for his three Sons as Heirs Apparent to the Throne in 235 AH/850 AD A Study of the Causes, Goals, and Results

Modar Adnan Telfah *

ABSTRACT

This study aims at uncovering the reasons why the Abbasid Caliph al-Mutawakkil Ala Allah (232-247 AH/ 846-861 AD) had promised three of his sons to become his heirs apparent to the throne in Dhi al-Hijjah, 235 AH/July, 850 AD . It, also, sheds light on the intended goals of this 'Bay'ah' and its significance. This study shows that this 'Bay'ah' aimed at providing assurance to al-Mutawakkil that the Caliphate will be restricted to his sons and his offspring afterwards and excludes the other Abbasid families. With the aim of eliminating them for good, the 'Bay'ah' restrains the hegemony of the Turks in the military, the army leadership, the state administration, the security affairs, and the financial affairs. The study focuses on the role of this 'Bay'ah' in stirring up the conflicts among the Abbasids on the Caliphate as a result of transferring it to the family of al-Mutawakkil. However, the Turks army leaders, who were resentful by the Caliph intentions to get rid of them, utilized this weak link and came into alliance with the Crown Prince al-Muntaser bi Allah and killed the Caliph, al-Mutawakkil. As a result, the Turks imposed their direct dominance over the Caliphate Foundation and in administering the state affairs.

KEYWORDS: the Caliph al-Mutawakkil, heir apparent, al-Muntaser bi Allah, and al-Mutaz bi Allah, the Turk leaders, and the Abbasid Shiite.

* History Department, Yarmouk University.
Received on 30/10/2014 and accepted for publication on 4/6/2015.